مقالات

بقلم الدكتور رجا سمرين

الفهرس

الموضوع	المجلة	رقم الصفحة
أولاً: الغريزة الاجتماعية ودورها في التربية	رسالة المعلم	3
ثانياً: قصيدة تربوية لأمير الشعراء أحمد شوقي	مرآة السالمية	9
ثالثاً: قصة قصيرة بعنوان: الرسالة الأخيرة	الأهلي الأردنية	14
رابعاً: الحب الإلهي في الشعر العربي المعاصر	المسلمون	18
خامساً: المرأة العربية والشعر – لمحة تاريخية	تايكي	26
سادساً: ظاهرة الإعداد الشكلي للدروس	جمعية المعلمين الكويتية	36
سابعاً: النوعة الإنسانية في شعر أبي العلاء المعرى	الثقافة العربية	38
ثامناً: مواقف من حياتهم	النهضةالكويتية	49
تاسعاً: العرب وانتظار التغيير – زاوية الرأي الحر	مرآة الامة الكويتية	52
عاشراً: طريق الخلاص – زاوية الرأي الحر	مرآة الأمة الكويتية	55
أحد عشر: ومن الأحلام ما يتحقق – زاوية مساحة للبوح	----	59

أولا: الغريزة الاجتماعية ودورها في التربية

مجلة رسالة المعلم - تربوية ثقافية، أصدرتها وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشيمة. العدد 5 السنة 11، أيار–حزيران 1968م. صفحة 44 – الموضوع بعنوان: الغريزة الاجتماعية ودورها في التربية. بقلم: رجا سمرين.

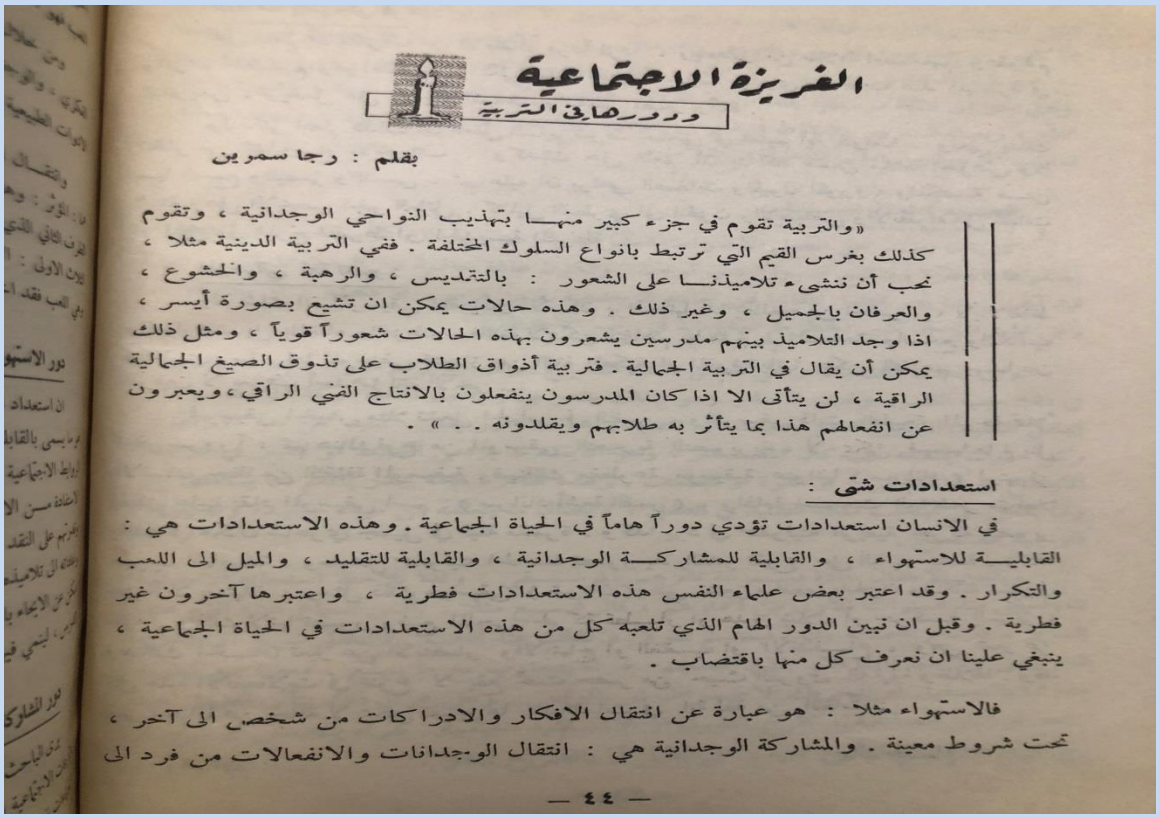

الغريزة الاجتماعية
ودورها في التربية

بقلم : رجا سمرين

«والتربية تقوم في جزء كبير منهـا بتهذيب النواحي الوجدانية ، وتقوم كذلك بغرس القيم التي ترتبط بانواع السلوك المختلفة . ففي التربية الدينية مثلا ، نحب أن ننشيء تلاميذنـا على الشعور : بالتقديس ، والرهبة ، والخشوع ، والعرفان بالجميل ، وغير ذلك . وهذه حالات يمكن ان تشيع بصورة أيسر ، اذا وجد التلاميذ بينهم مدرسين يشعرون بهذه الحالات شعوراً قوياً ، ومثل ذلك يمكن أن يقال في التربية الجمالية . فتربية أذواق الطلاب على تذوق الصيغ الجمالية الراقية ، لن يتأتى الا اذا كان المدرسون ينفعلون بالانتاج الفني الراقي ، ويعبرون عن انفعالهم هذا بما يتأثر به طلابهم ويقلدونه . . » .

استعدادات شتى :

في الانسان استعدادات تؤدي دوراً هاماً في الحياة الجماعية . وهذه الاستعدادات هي : القابليـة للاستهواء ، والقابلية للمشاركـة الوجدانية ، والقابلية للتقليد ، والميل الى اللعب والتكرار . وقد اعتبر بعض علماء النفس هذه الاستعدادات فطرية ، واعتبرها آخرون غير فطرية . وقبل ان نبين الدور الهام الذي تلعبه كل من هذه الاستعدادات في الحياة الجماعية ، ينبغي علينا ان نعرف كل منها باقتضاب .

فالاستهواء مثلا : هو عبارة عن انتقال الافكار والادراكات من شخص الى آخر ، تحت شروط معينة . والمشاركة الوجدانية هي : انتقال الوجدانات والانفعالات من فرد الى

— ٤٤ —

"والتربية تقوم في جزء كبير منها بتهذيب النواحي الوجدانية، وتقوم كذلك بغرس القيم التي ترتبط بأنواع السلوك المختلفة. ففي التربية الدينية مثلاً؛ نحب أن ننشىء تلاميذنا على الشعور: بالتقديس، والرهبة، والخشوع، والعرفان بالجميل، وغير ذلك. وهذه حالات يمكن أن تشيع بصورة أيسر إذا وجد التلاميذ بينهم مدرسين يشعرون بهذه الحالات شعوراً قوياً، ومثل ذلك يمكن أن يُقال في التربية الجمالية، فتربية أذواق الطلاب على تذوق الصيغ الجمالية الراقية، لن يتأتى إلا إذا كان المدرسون ينفعلون بالانتاج الفني الراقي ويعبرون عن انفعالهم هذا بما يتأثر به طلابهم ويقلدونه.."

استعدادات شتى:

في الإنسان استعدادات تؤدي دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية. وهذه الاستعدادات هي: القابلية للاستهواء، والقابلية للمشاركة الوجدانية، والقابلية للتقليد، والميل إلى اللعب والتكرار. وقد اعتبر بعض علماء النفس هذه الاستعدادات فطرية، واعتبرها آخرون غير فطرية. وقبل أن نبين الدور الهام الذي تلعبه كل من هذه الاستعدادات في الحياة الجماعية، ينبغي علينا أن نعرف كل منها باقتضاب.

فالاستهواء مثلاً: هو عبارة عن انتقال الأفكار والإدراكات من شخص إلى آخر، تحت شروط معينة. **والمشاركة الوجدانية** هي: انتقال الوجدانات والانفعالات من فرد إلى آخر في ظروف معينة. أما **التقليد** فهو: انتقال ألوان السلوك من شخص إلى آخر. وأما **اللعب** فهو: نشاط يؤدي إلى إعادة الاتزان في حياة الإنسان.

ومن خلال هذه التعريفات نجد أن الإنسان معدّ إعداداً طبيعياً بما يعاونه على الارتباط الفكري والوجداني والسلوكي بمن حوله من بني جنسه، وبهذا يكون لدى المجتمع الأدوات الطبيعية التي تهيء له تماسك أفراده بعضهم ببعض.

وانتقال الفكرة والوجدان والسلوك يقتضي بداهة وجود طرفين على الأقل هما: **المؤثر**: وهذا هو الطرف الذي تنتقل منه الحالة النفسية إلى غيره. **والمتأثر**: وهو الطرف الثاني الذي تنتقل إليه هذه الحالة. وقد حمل بعض علماء النفس على تنمية النزعات الثلاث الأولى: الاستهواء أو المشاركة أو

التقليد بالغرائز الاجتماعية، أما النزعة الرابعة وهي اللعب فقد اختلف في أمرها: هل هي اجتماعية أم هي فردية؟!

دور الاستهواء:

إن استعداد الشخص لتقبل فكرة ما مع عدم وجود الأسباب المنطقية الكافية لتقبلها، هو ما يسمى بالقابلية للاستهواء في ميدان التربية. وهذه القابلية مبنية على ما هو قائم من الروابط الاجتماعية بين الأفراد . فالفكرة تنتقل بين الأفراد من أجناس مختلفة، ولهذا ينبغي الاستفادة من الاستهواء في ميدان التربية والتعليم إلى الحدّ الذي لا يضعف التلاميذ وقدرتهم على النقد والتفكير في المستقبل، فالمدرس الناجح يستطيع أن ينقل كثيراً من اتجاهاته وعاداته إلى تلاميذه، بشرط أن يعوّدهم نقد ما يقرأون وما يسمعون، وعليه أن يبعد ما أمكن عن الإيحاء بالإجابة خلال طرحه للأسئلة الجريئة التي يوجهها إلى تلاميذه أثناء الدرس، لينمي فيهم ملكتي النقد والاستنباط.

دور المشاركة الوجدانية:

يرى الباحث المُربّي (مكدوجل) أن المشاركة الوجدانية تلعب دوراً أهمّ ممّا تلعبه النزعات الاجتماعية الأخرى في إحداث التماسك بين أفراد الجماعة. ومن الملاحظ أيضاً أن الجماعات نفسها تميل إلى التجانس من حيث الجو الوجداني الذي يشيع فيها. ولذلك نرى أن الذي يشذ عن الحالة الوجدانية الشائعة في جماعة ما، سرعان ما يميل إلى مسايرتها، وقد تلجأ الجماعة نفسها إلى التخلص منه وإبعاده، ليتحقق لها التجانس الوجداني. مثال ذلك: مجموعة من الناس تشترك في إحياء حفل بهيج. ومثل هذه الجماعة تضيق ذرعاً بشخص يظهر بينها بمظهر الاكتئاب، وسرعان ما تميل إلى التخلص منه إذا لم يسارع هو ويعود إلى مشاركتها في وجدانها.

أهمية تربية الذوق:

والتربية تقوم في جزء كبير منها بتهذيب النواحي الوجدانية، وتقوم كذلك بغرس القيم التي ترتبط بأنواع السلوك المختلفة. ففي التربية الدينية مثلاً: نحب أن ننشىء تلاميذنا على الشعور: بالتقديس، والرهبة، والخشوع، والعرفان بالجميل، وغير ذلك. وهذه حالات يمكن أن تشيع بصورة أيسر إذا وجد التلاميذ بينهم مدرسين يشعرون بهذه الحالات شعوراً قوياً، ومثل ذلك يمكن أن يُقال في التربية الجمالية، فتربية أذواق الطلاب على تذوق الصيغ الجمالية الراقية، لن يتأنى إلا إذا كان المدرسون ينفعلون بالانتاج الفني الراقي ويعبّرون عن انفعالهم هذا بما يتأثر به طلابهم ويقلدونه. ومن هنا تجيء أهمية المعارض، والمتاحف، والحفلات، والعناية بتجميل مبنى المدرسة، وحديقتها، وكل ما هو ملحق بها، كالمكتبة والمختبر والنادي، ليساعد ذلك كله على ارتقاء الذوق عند التلاميذ.

التقليد أساس التعليم:

وبعض العلماء يعتبر التقليد غريزة، وآخرون – ومنهم المربي مكدوجل– يعتبرونه استعداداً فطرياً عاماً، ولكي يتم تقليد نوع من أنواع السلوك، لا بد من توافر أمرين؛ الأول: الرغبة في التقليد. والثاني: القدرة على التقليد. والتقليد نوعان؛ الأول: مقصود، والثاني غير مقصود. والمقصود: ما كانت الرغبة في التقليد فيه غير صريحة، أو لا شعورية. ومن أمثلة التقليد غير المقصود: تثاؤب عدد من الأفراد إثر رؤيتهم لفرد يتثاءب. أو تصفيق جماعة من الناس، وذلك لمجرد رؤيتهم رجلاً قد صفَّق دون أن يعلموا لما صفق.

وأهم ما يميز التقليد المقصود وغير المقصود هو ما يصحب المقصود من تركيز للانتباه في العمل المراد تقليده، ومن أمثلة هذا اللون تقليد الخط الحسن عند تعلم الخط. وقد يتخذ التقليد نهجاً جماعياً ثابتاً، وحينذاك يعرف بالتقاليد، ومن ذلك: المواسم، والأعياد، ومراسيم الزواج، وغير ذلك من أنواع السلوك الثابتة التي تمارسها الجماعات.

وفي مجال التربية والتعليم يظل التقليد أساساً للتعليم سنوات عديدة. والتربية بالذات في العصور الأولى كانت تقوم على التقليد؛ فالأطفال يتعلمون الحروف من آبائهم عن طريق ملازمتهم وتأمل حركاتهم، ولهذا نرى أن حِرفة معينة كانت تنتقل من فرد إلى آخر في نفس الأسرة أجيالاً عديدة.

العادات الصالحة:

والتقليد ضروري في كثير من الأحيان في نواحي: التربية الدينية، والخلقية، والاجتماعية، والجماعية، وكسب المهارات، وغير ذلك. ولكن ليس معنى هذا أن نَصُبّ التلاميذ في قوالب جامدة متماثلة، وإنما علينا أن نجعلهم يكتسبون عن طريق التقليد مختلف العادات الصالحة مع تهيئة المجال لهم للابتكار والتفكير والتعبير الحر عن طريق الاستعدادات الذاتية الخاصة بهم. والمدرس الناجح هو ذلك الذي يعتبر نفسه مرشداً يهيء لتلاميذه الجو الذي تنمو فيه الفردية نمواً متزناً ويشيع فيه نظام المناقشة، والرأي الشخصي، والتعبير الحر، مع مراعان احترام شخصياتهم في أن لا يخرجوا على التقاليد المدرسية الحسنة.

اللعب وصلته بالفن:

واللعب نشاط تلقائي حر ممتع مقصود لذاته، يعبر عن الحالة النفسية الداخلية تعبيراً صادقاً. ولهذا يرى بعضهم أن اللعب يلتقي في غايته بالفن، وأحلام اليقظة، وأحلام النوم، والاستمتاع بالقصص. واللعب مسرح تظهر عليه تعبيرات الدوافع الفطرية وغير الفطرية المختلفة. وهو عند بعض المُربّين الأسلوب الطبيعي للتعليم، كما أنه عند آخرين: "تلخيص للمراحل المختلفة التي مر بها الإنسان عبر أدوار تطوره ونشوئه خلال التاريخ."

وقد يكون اللعب غاية تنفيسية أو تعويضية. ومن أمثلة اللعب ذي الغاية التنفيسية: ما يرى في التمثيليات المحزنة التي تعاون المتفرجين على تفريغ أحزانهم، التي لا يمكنهم تفريغها في الحياة العادية. ومن أمثلة اللعب ذي الغاية التعويضية: ما نراه عند الأطفال عندما يمثل أحدهم دور المدرس، ويمثل آخرون دور التلاميذ، ففي هذه الحالة نجد أن الذي يقوم بدور المدرس يضرب الذين يمثلون دور التلاميذ على سبيل التعويض.

وسيلة ذات أهمية:

ويصحب كثيراً من الألعاب ظاهرة تعرف بالتكرار، وهي وسيلة للسيطرة على الأشياء، والشعور بالمقدرة على أداء الحركات. ولما كان اللعب هو أسلوب الطبيعة في التربية، والوسيلة لإعداد الكائن الحي للعمل الجدي في حياته المقبلة؛ فقد شعر المُربّون بأهميته بالنسبة للتربية والتعليم، فأدخلوا كثيراً من ألوان اللعب ضمن المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية. وقد استغل بعض المربين اللعب حتى في تعلم اللغة. ومثال ذلك: "بعض الألعاب التي تقتضي أن يكون فيها سباق بين التلاميذ، فالذي يخطىء في رفع الفاعل، أو نصب المفعول، يخرج من اللعبة– مثلاً– ويستمر الحال هكذا إلى آخر الشوط، فيكون الصامد إلى النهاية هو الفائز على الأقران."

ومن أساليب التعليم التي تمتزج بخصائص روح اللعب، إجراء التجارب، ورؤية النماذج، ومشاهدة الصور ، والأفلام، والقيام بالعمليات، والرحلات، والمعسكرات، وغير ذلك... ويمكن استغلال اللعب أيضاً في نظام الأسر المدرسية، لأنها تقوم على تقسيم الطلاب إلى مجموعات، لكل مجموعة منها حياتها الرياضية، والاجتماعية، وبرامجها الخاصة، وطرق تنفيذها وما إلى ذلك.

وهكذا نرى أن اللعب خير مجال يمكن للمدرس من فهم نفسيات تلاميذه والوقوف على استعداداتهم، كما أنه – إلى جانب ذلك – خير وسيلة لتعليم التلاميذ، وتربيتهم تربية اجتماعية وخلقية راقية.

ثانيا: قصيدة تربوية لأمير الشعراء أحمد شوقي

مجلة مرآة السالمية – تربوية يصدرها مجلس آباء ومعلمي منطقة السالمية – العدد الأول نوفمبر 1986م– وزارة التربية – منطقة حولي التعليمية / الكويت. صفحة 46 الموضوع بعنوان (قصيدة تربوية – رائعة من روائع أمير الشعراء أحمد شوقي) بقلم الدكتور رجا سمرين.

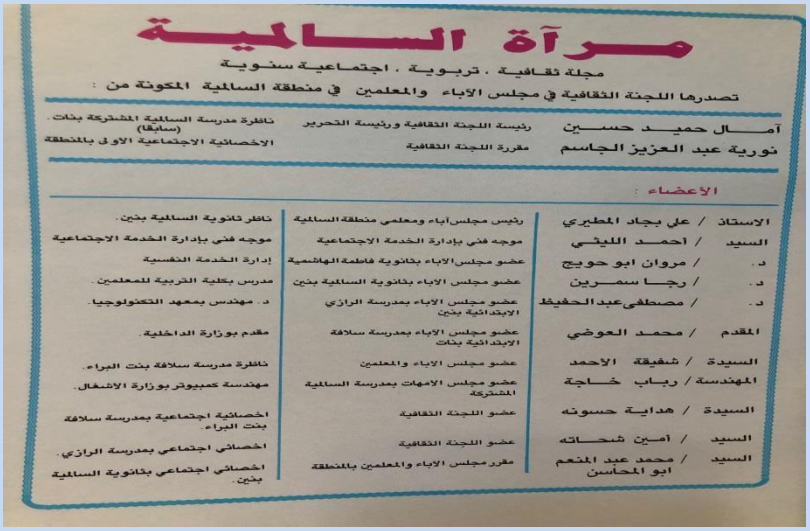
مرآة السالمية

مجلة ثقافية . تربوية . اجتماعية سنوية

تصدرها اللجنة الثقافية في مجلس الآباء والمعلمين في منطقة السالمية المكونة من :

آمال حميد حسين	رئيسة اللجنة الثقافية ورئيسة التحرير	ناظرة مدرسة السالمية المشتركة بنات. (سابقا)
نورية عبد العزيز الجاسم	مقررة اللجنة الثقافية	الاخصائية الاجتماعية الاولى بالمنطقة

الأعضاء :

الاستاذ / علي بجاد المطيري	رئيس مجلس آباء ومعلمي منطقة السالمية	ناظر ثانوية السالمية بنين.
السيد / أحمد الليثي	موجه فني بإدارة الخدمة الاجتماعية	موجه فني بإدارة الخدمة الاجتماعية
د. / مروان ابو حويج	عضو مجلس الاباء بثانوية فاطمة الهاشمية	إدارة الخدمة النفسية
د. / رجا سمرين	عضو مجلس الاباء بثانوية السالمية بنين	مدرس بكلية التربية للمعلمين.
د. / مصطفى عبد الحفيظ	عضو مجلس الاباء بمدرسة الرازي الابتدائية بنين	د. مهندس بمعهد التكنولوجيا.
المقدم / محمد العوضي	عضو مجلس الاباء بمدرسة سلافة الابتدائية بنات	مقدم بوزارة الداخلية.
السيدة / شفيقة الأحمد	عضو مجلس الاباء والمعلمين	ناظرة مدرسة سلافة بنت البراء.
المهندسة / رباب خاجة	عضو مجلس الامهات بمدرسة السالمية المشتركة	مهندسة كمبيوتر بوزارة الاشغال.
السيدة / هداية حسونه	عضو اللجنة الثقافية	اخصائية اجتماعية بمدرسة سلافة بنت البراء.
السيد / أمين شحاته	عضو اللجنة الثقافية	اخصائي اجتماعي بمدرسة الرازي.
السيد / محمد عبد المنعم ابو المحاسن	مقرر مجلس الاباء والمعلمين بالمنطقة	اخصائي اجتماعي بثانوية السالمية بنين.

"العلم والتعليم وواجب المعلم، رائعة من روائع أمير الشعراء أحمد شوقي التي تقف شامخة بين روائعه الشعرية الكثيرة، على الرغم من تتابع الأيام وتوالي الأحقاب." وهذه القصيدة تظل جديدة متجددة لما تضمنته من نظرات صائبة في أساليب التربية والتعليم، ومن دعوة مخلصة للإقبال على العلم، وحول الأساس المتين لنهضة الأمة وتقدمها، ولما اشتملت عليه هذه القصيدة من وجوب احترام المعلم وتقديس رسالته وإعلاء شأنه في المجتمع.

وقد ألقى الشاعر قصيدته هذه في الحفل الذي أقامه نادي مدرسة المعلمين العليا في أواخر مارس من عام 1924. وقد بدأها بالدعوة إلى احترام المعلم وتبجيله، وإعظام شأنه وشأن رسالته التي تكتسب قدسيتها من حيث كونها متممة لرسالة الأنبياء والرسل. وكيف لا يستحق التعظيم من كانت رسالته بناء الأنفس وتهذيب العقول وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة؟

قـــم للمعلـــم وفـــه التبجـــيلا ... كـــاد المعلـــم أن يكـــون رســـولا
أعلمـت أشـرف أو أجـل مـن الـذي ... يبنـــي وينشـــيء أنفســـاً وعقـــولا؟
ســـبحانك اللهـــم خيـــر معلـــم ... علمـــت بـــالقلم القـــرون الأولـــى
أخرجـت هـذا العقـل مـن ظلماتـه ... وهديتـــه النـــور المبـــين ســـبيلا
أرســـلت بـــالتوراة موســـى مرشـــداً ... وابـــن البتـــول فعلـــم الإنجـــيلا
وفجـــرت ينبـــوع البيـــان محمـــداً ... فســـقى الحـــديث ونـــاول التنـــزيلا

ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك إلى تذكير أبناء جيله بالحضارتين اليونانية والمصرية اللتين قامتا منذ فجر التاريخ على أسس راسخة من العلم وسبقتا الغرب في ذلك الميدان بقرون طويلة. ولكنهما وبكل أسف تراجعتا عن ذلك لتصبحا متطفلتين على مواكب الحضارة والتعليم بعد أن تنكب أبناؤها السير في الطريق الصحيح:

علمـــت يونانـــا ومصـــر فزالتـــا ... عـــن كـــل شـــمس مـــا تريـــد أفـــولا
واليـــوم أصـــبحتا بحـــال طفولـــة ... فـــي العلـــم تلتمســـانه تطفـــيلا

ويتساءل الشاعر عن تأخر الشرق وتقدم الغرب عليه، وسرعان ما يجيئه الجواب الذي يتلخص في انحطاط منزلة العلم وانقراض ذلك الطراز الفذ من المعلمين الذين نذروا نفوسهم في سبيل العلم والحقيقة:

من مشرق الأرض الشموس تظاهرت ... ما بال مغربها عليه أديلا
ذهب الذين حموا حقيقة علمهم ... واستعذبوا فيها العذاب وبيلا

ويضرب الشاعر مثلاً لهذا النوع من المعلمين الأفذاذ بسقراط الذي لم يتردد عن تجرع السم عندما خيّره قضاته بين الموت وبين الحياة، شريطة توقفه عن بث تعاليمه بين الناس:

سقراط أعطي الكاس وهي منية ... شفتي محب يشتهي التقبيلا
عرضوا الحياة عليه وهي غباوة ... فأبى وآثر أن يموت نبيلا
إن الشجاعة في القلوب كثيرة ... ووجدت شجعان العقول قليلا

على الرغم من ندرة هذا النوع من المعلمين والعلماء، فإن الشاعر يؤكد أن الإنسانية لا تعقم عن إنجاب هذا الطراز من عشاق الحقيقة الذين يقفون بصلابة في وجه أعداء التقدم العلمي من الجهلة والسوقة والمستبدين في كل جيل:

إن الذي خلق الحقيقة علقما ... لم يُخْل من أهل الحقيقة جيلا
ولربما قتل الغرام رجالَها ... قُتِل الغرام كم استباح قتيلا
أَوَكُلُّ من حامى عن الحق اقتنى ... عند السواد ضغائنا وذُحولا

ثم يدعو الشاعر بعد ذلك معلمي وادي النيل إلى تحمل عبء الأمانة لإصلاح ما أفسده المستشار التعليمي الإنجليزي دنلوب الذي طالما تفنن في وضع العراقيل أمام مسيرة التعليم في مصر:

أمعلمي الوادي وساسة نشئه ... والطابعين شبابه المأمولا
والحاملين إذا دعوا ليعلموا ... عبء الأمانة فادحاً مسئولا
كانت لنا قدم إليه خفيفة ... ورمت بدنلوب فكان الفيلا

وقد ساء الشاعر تباطؤ بلاده في السير في دروب التعليم وامتلاء قُراها وكفورها بالأميين الذي يعجز أحدهم عن تشكيل إبرة بعد أن كان أجداده قادرين على بناء المسلات:

حتى رأينا مصر تخطو إصبعا ... في العلم إن مشت الممالك ميلا
تلك الكفور وحشوها – أمية ... من عهد خوفو لا تر القنديلا
تجد الذين بنى المسلة جدهم ... لا يحسنون لإبرة تشكيلا

وبعد ذلك ينتقل الشاعر إلى بيان رأيه في أساليب التربية والتعليم، ويدعو المعلمين إلى تربية تلاميذهم على الإنصاف الذي يكفل استقامة كل منطق أعوج وتعديل كل سلوك منحرف:

ربوا على الإنصاف فتيان الحمى ... تجدوهم كهف الحقوق كهولا
فهو الذي يبني الطباع قويمة ... وهو الذي يبني النفوس عُدولا
ويقيم منطق كل أعوج منطق ... ويريه رأياً في الأمور أصيلا

ثم يحذر الشاعر من انحراف المعلمين ليظلوا القدوة المثلى الصالحة لتلاميذهم في السلوك والأخلاق موضحاً حتمية اعوجاج الناشئة إذا قام على تربيتهم وتعليمهم معلمون منحرفون:

وإذا المعلم لم يكن عدلا مشى ... روح العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظ بصيرة ... جاءت على يد البصائر حولا
وإذا أتى الإرشاد من سبب الهوى ... ومن الغرور فسمه التضليلا
وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ... فأقم عليهم مأتما وعويلا

والشاعر يدرك أن تعليم الرجل وحده لا يكفي لأنه لا يمكن أن ينهض بعبء التربية دون مشاركة فعالة من المرأة المتعلمة. ولذلك فهو يعذر الرجال في تقصيرهم ما داموا ينشأون في أحضان أمهات جاهلات:

إني لأعذركم وأحسب عبئكم ... من بين أعباء الرجال ثقيلا
وجد المساعد غيركم وحرمتم ... في مصر عون الأمهات جليلا
وإذا النساء نشأن في أمية ... رضع الرجال جهالة وخمولا

والشاعر مؤمن بضرورة التعاون بين البيت والمدرسة ويرى أن اليتيم الحقيقي من التلاميذ ليس هو الذي مني بفقد أبويه، ولكنه ذلك التلميذ الذي يتشاغل أبواه عن الاهتمام به ويحرمانه من الإشراف الفعلي المباشر والمتابعة الحانية اللذين لا يغني عنهما إشراف المدرسة ومتابعتها. أما يتيم الأبوين فقد يجد خير بديل لأبويه:

لـيس اليتـيم مـن انتهـى أبـواه مـن هـم الحيـاة وخلفـاه ذلـيلا
إن اليتـيم هـو الـذي تلقـى لـه أمـا تخلـت أو أبـاً مشـغولا

ويختم الشاعر قصيدته بدعوة نواب الأمة في بلاده إلى الاهتمام بالقضية التعليمية:

البرلمـان غـدا يمـد رواقـه ظـلاً علـى الـوادي السـعيد ظلـيلا
نرجـو إذا التعلـيم حـرك شـجوه ألا يكـون علـى الـبلاد بخـيلا

وفي الوقت نفسه يهيب الشاعر بالناخبين من مواطنيه ويستحلفهم بدماء الشهداء ألا يوصلوا أحداً إلى البرلمان ليمثلهم فيه وأن يعزفوا عن انتخاب الجهلة وألا يعطوا أصواتهم إلا إلى أصحاب البصائر الأمناء من المواطنين:

ناشـدتكم تلـك الـدماء زكيـة لا تبعثـوا للبرلمـان جهـولا
إن أنـت أطلعـت الممثـل ناقصـا لـم تلـق عنـد كمالـه التمثـيلا
فـادعوا لهـا أهـل الأمانـة واجعلـوا لأولـي البصـائر مـنهم التفضـيلا

رحم الله أمير الشعراء وجزاه عن نظراته التربوية الصائبة أفضل الجزاء.

ثالثا: قصة قصيرة بعنوان: "الرسالة الأخيرة"

مجلة الأهلي : نشرة شهرية- *نُشرت هذه القصة في مجلة (الأهلي) التي كانت تصدر عن النادي الأهلي بعمان-المملكة الأردنية الهاشمية في عددها الأول لعام 1962.* صفحة 16، قصة الرسالة الأخيرة، بقلم رجا سمرين.

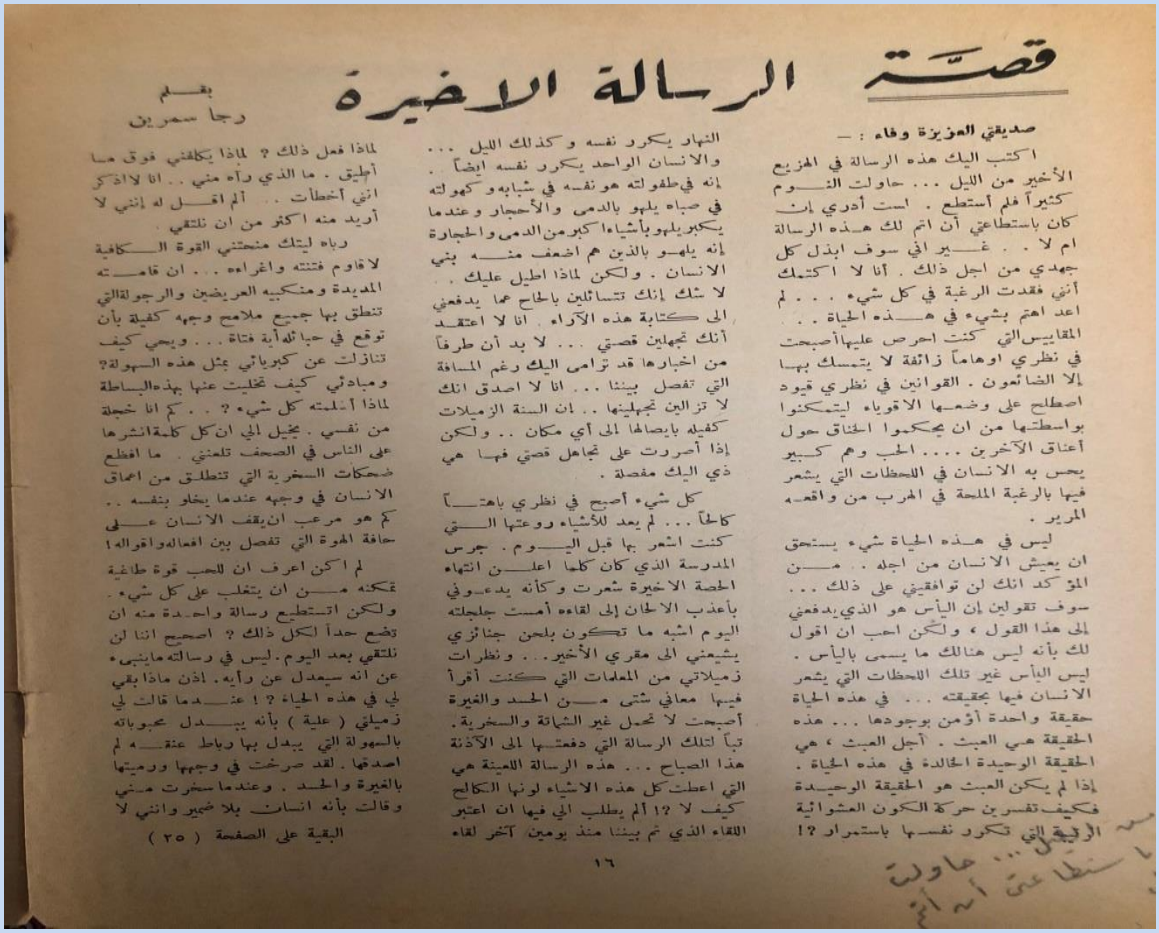

قصة الرسالة الاخيرة

بقلم
رجا سمرين

صديقي العزيزة وفاء : —

اكتب اليك هذه الرسالة في الهزيع الأخير من الليل ... حاولت النوم كثيراً فلم أستطع . استودي إن كان باستطاعتي أن اتم لك هذه الرسالة ام لا . . غير اني سوف ابذل كل جهدي من اجل ذلك . أنا لا اكتبك أنني فقدت الرغبة في كل شيء . . . لم اعد اهتم بشيء في هذه الحياة . . . المقاييس التي كنت احرص عليها أصبحت في نظري اوهاماً زائفة لا يتمسك بها إلا الضائعون . القوانين في نظري قيود اصطلح على وضعها الاقوياء ليتمكنوا بواسطتها من ان يحكموا الخناق حول أعناق الآخرين .... الحب وهو كبير يحس به الانسان في اللحظات التي يشعر فيها بالرغبة الملحة في الهرب من واقعه المرير .

ليس في هذه الحياة شيء يستحق ان يعيش الانسان من اجله . . من المؤكد انك لن توافقيني على ذلك ... سوف تقولين إن اليأس هو الذي يدفعني الى هذا القول ، ولكن احب ان اقول لك بأنه ليس هنالك ما يسمى باليأس . ليس اليأس غير تلك اللحظات التي يشعر الانسان فيها بحقيقته . . . في هذه الحياة حقيقة واحدة أؤمن بوجودها ... هذه الحقيقة هي العبث . أجل العبث ، هي الحقيقة الوحيدة الخالدة في هذه الحياة . إذا لم يكن العبث هو الحقيقة الوحيدة فكيف تفسرين حركة الكون العشوائية الرتيبة التي تكرر نفسها باستمرار ؟!

النهار يكرر نفسه وكذلك الليل ... والانسان الواحد يكرر نفسه ايضاً . إنه في طفولته هو نفسه في شبابه وكهولته في صباه يلهو بالدمى والأحجار وعندما يكبر يلهو بأشياء اكبر من الدمى والحجارة إنه يلهو بالذين هم اضعف منه بني الانسان . ولكن لماذا اطيل عليك . لا شك إنك تتساءلين بالحاح عما يدفعني الى كتابة هذه الآراء . انا لا اعتقد أنك تجهلين قصتي ... لا بد أن طرفاً من اخبارها قد تزامى اليك رغم المسافة التي تفصل بيننا ... انا لا اصدق انك لا تزالين تجهلينها .. إن السنة الزميلات كفيلة بايصالها الى أي مكان .. ولكن إذا آصررت على تجاهل قصتي فهاهي ذي اليك مفصلة .

كل شيء أصبح في نظري باهتاً كالحاً ... لم يعد للأشياء روعتها التي كنت اشعر بها قبل اليوم . جرس المدرسة الذي كان كلما اعلن انتهاء الحصة الاخيرة شعرت وكأنه يدعوني بأعذب الالحان إلى لقاءه أمست جلجلته اليوم اشبه ما تكون بلحن جنائزي يشيعني الى مقري الأخير . . ونظرات زميلاتي من المعلمات التي كنت أقرأ فيها معاني شتى من الحسد والغيرة أصبحت لا تحمل غير الشماتة والسخرية . تباً لتلك الرسالة التي دفعتها الى الآذنة هذا الصباح ... هذه الرسالة اللعينة هي التي اعطت كل هذه الاشياء لونها الكالح كيف لا ؟! ألم يطلب الي فيها ان اعتبر اللقاء الذي تم بيننا منذ يومين آخر لقاء

لماذا فعل ذلك ؟ لماذا يكلفني فوق ما أطيق . ما الذي رآه مني .. انا لا اذكر انني أخطأت .. آلم اقل له إنني لا أريد منه اكثر من ان نلتقي .

رباه ليتك منحتني القوة الكافية لاقاوم فتنته واغراءه ... ان قامته المديدة ومنكبيه العريضين والرجولة التي تنطق بها جميع ملامح وجهه كفيلة بأن توقع في حبائله أية فتاة ... ويحي كيف تنازلت عن كبريائي بمثل هذه السهولة؟ ومبادئي كيف تخليت عنها بهذه البساطة لماذا آلمته كل شيء ؟ . . كم انا خجلة من نفسي . يخيل الي ان كل كلمة انشرها على الناس في الصحف تلعنني . ما افظع ضحكات السخرية التي تنطلق من اعماق الانسان في وجهه عندما يخلو بنفسه .. كم هو مرعب ان يقف الانسان على حافة الهوة التي تفصل بين افعاله واقواله !

لم اكن اعرف ان للحب قوة طاغية تمكنه من ان يتغلب على كل شيء . ولكن استطيع رسالة واحدة منه ان تضع حداً لكل ذلك ؟ اصحيح اننا لن نلتقي بعد اليوم . ليس في رسالته ما ينبيء عن أنه سيعدل عن رأيه . إذن ماذا بقي لي في هذه الحياة ؟ ! عندما قالت لي زميلتي (علية) بأنه يبدل محبوباته بالسهولة التي يبدل بها رباط عنقه لم اصدقها . لقد صرخت في وجهها ورميتها بالغيرة والحسد . وعندما سخرت مني وقالت بأنه انسان بلا ضمير وانني لا

البقية على الصفحة (٣٥)

صديقتي العزيزة وفاء:

أكتب إليك هذه الرسالة في الهزيع الأخير من الليل... حاولت النوم كثيراً فلم أستطع. لست أدري إن كان باستطاعتي أن أتم لك هذه الرسالة أم لا.. غير أني سوف أبذل كل جهدي من أجل ذلك.

أنا لا أكتمك أنني فقدت الرغبة في كل شيء... لم أعد أهتم بشيء في هذه الحياة...

المقاييس التي كنت أحرص عليها أصبحت في نظري أوهاماً زائفة لا يتمسك بها إلا الضائعون. القوانين في نظري قيود أصطلح على وضعها الأقوياء ليتمكنوا بواسطتها من أن يحكموا الخناق حول أعناق الآخرين... الحب وهم كبير يحس به الإنسان في اللحظات التي يشعر فيها بالرغبة الملحة في الهرب من واقعه المرير.

ليس في هذه الحياة شيء يستحق أن يعيش الإنسان من أجله.. من المؤكد أنك لن توافقيني على ذلك... سوف تقولين إن اليأس هو الذي يدفعني إلى هذا القول، ولكن أحب أن أقول لك بأنه ليس هنالك ما يسمى باليأس.

ليس اليأس غير تلك اللحظات التي يشعر الإنسان فيها بحقيقته... في هذه الحياة حقيقة واحدة أؤمن بوجودها... هذه الحقيقة هي العبث. أجل، العبث، هي الحقيقة الوحيدة فكيف تفسرين حركة الكون العشوائية الرتيبة التي تكرر نفسها باستمرار؟! النهار يكرر نفسه وكذلك الليل... والإنسان الواحد يكرر نفسه أيضاً. إنه في طفولته هو نفسه في شبابه وكهولته، في صباه يلهو بالدمى والأحجار وعندما يكبر يلهو بأشياء أكبر من الدمى والحجارة... إنه يلهو بالذين هو أضعف منه من بني الإنسان. ولكن لماذا أطيل عليك.. لا شك إنك تتسائلين بإلحاح عما يدفعني إلى كتابة هذه الآراء. أنا لا أعتقد أنك تجهلين قصتي... لا بد أن طرفاً من أخبارها قد ترامى إليك رغم المسافة التي تفصل بيننا... أنا لا أصدق أنك لا تزالين تجهلينها... إن ألسنة الزميلات كفيلة بإيصالها إلى أي مكان... ولكن إذا أصررت على تجاهل قصتي فها هي ذي إليك مفصلة.

كل شيء أصبح في نظري باهتاً كالحاً... لم يعد للأشياء روعتها التي كنت أشعر بها قبل اليوم. جرس المدرسة الذي كان كلما أعلن انتهاء الحصة الأخيرة شعرت وكأنه يدعوني بأعذب الألحان إلى

لقاءه أمست جلجلته اليوم أشبه ما تكون بلحن جنائزي يشيعني إلى مقري الأخير....ونظرات زميلاتي من المعلمات التي كنت أقرأ فيها معاني شتى من الحسد والغيرة أصبحت لا تحمل غير الشماتة والسخرية.

تباً لتلك الرسالة التي دفعت بها إلى الآذنة هذا الصباح... هذه الرسالة اللعينة هي التي أعطت كل هذه الأشياء لونها الكالح، كيف لا؟! ألم يطلب إلي فيها أن أعتبر اللقاء الذي تم بيننا منذ يومين آخر لقاء، لماذا فعل ذلك؟! لماذا يكلفني فوق ما أطيق. ما الذي رآه مني.. أنا لا أذكر أنني أخطأت.. ألم أقل له إنني لا أريد منه أكثر من أن نلتقي.

رباه ليتك منحتني القوة الكافية لأقاوم فتنته وإغراءه... إن قامته المديدة ومنكبيه العريضين والرجولة التي تنطق بها جميع ملامح وجهه كفيلة بأن توقع في حبائله أية فتاة... ويحي! كيف تنازلت عن كبريائي بمثل هذه السهولة؟! ومبادئي.. كيف تخليت عنها بهذه البساطة لما أسلمته كل شيء؟... كم أنا خجلة من نفسي. يخيل إلي أن كل كلمة أنشرها على الناس في الصحف تلعنني. ما أفظع ضحكات السخرية التي تنطلق من أعماق الإنسان في وجهه عندما يخلو بنفسه... كم هو مرعب أن يقف الإنسان على حافة الهوة التي تفصل بين أفعاله وأقواله!

لم أكن أعرف أن للحب قوة طاغية تمكنه من أن يتغلب على كل شيء. ولكن أتستطيع رسالة واحدة منه أن تضع حدّاً لكل ذلك؟ أصحيح أننا لن نلتقي بعد اليوم. ليس في رسالته ما ينبيء عن أنه سيعدل عن رأيه. إذن ماذا بقي لي في هذه الحياة؟! عندما قالت لي زميلتي (علية) بأنه يبدل محبوباته بالسهولة التي يبدل بها رباط عنقه لم أصدقها. لقد صرخت في وجهها ورميتها بالغيرة والحسد. وعندما سخرت مني وقالت بأنه إنسان بلا ضمير وأنني لا أزيد عن كوني فريسة جديدة أوقعها سوء الحظ بين براثنه قلت لها اغربي عن وجهي... إنه أنبل من في الوجود.

لم يعد أمامي سوى علاج واحد أعيد به الحياة إلى ضميره الميت وسأقدم له ذلك العلاج رغم أنه باهظ الثمن، والآن وداعاً أيتها الصديقة..

بعد قليل سأطوي الرسالة وسوف استدعي الخادمة لتذهب بها إلى صندوق البريد. وعندما تعود الخادمة إلى البيت ستجد أنني قد انتهيت من تقديم العلاج إلى ضمير حبيبي الغادر. وفي الصباح عندما يشتري جريدته اليومية المفضلة قبل أن يتوجه إلى مكتبه سيستيقظ ضميره وتعود إليه الحياة.

رابعا: الحب الإلهي في الشعر العربي المعاصر

مجلة المسلمون : مجلة إسلامية دولية، العدد 23، الجمعة 2 إبريل 1982م، 8 جمادى الآخرة 1402هـ، المملكة العربية السعودية– الموضوع: الحب الإلهي في الشعر النسائي المعاصر. بقلم د. رجا سمرين.

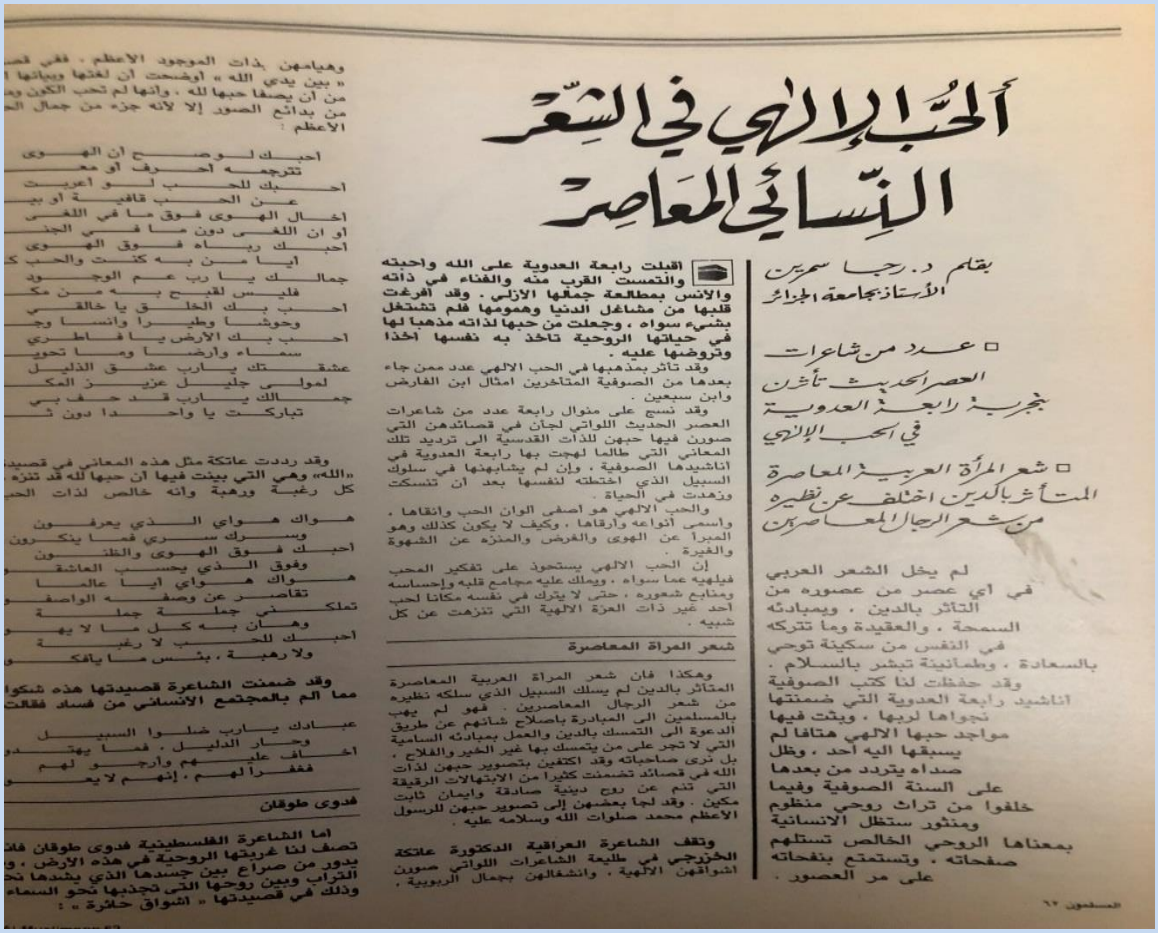

الحب الإلهي في الشعر النسائي المعاصر

بقلم د. رجا سمرين
الأستاذ بجامعة الجزائر

- عدد من شاعرات العصر الحديث تأثرن بتجربة رابعة العدوية في الحب الإلهي
- شعر المرأة العربية المعاصرة المتأثر بالدين اختلف عن نظيره من شعر الرجال المعاصرين

لم يخل الشعر العربي في أي عصر من عصوره من التأثر بالدين ، وبمبادئه السمحة ، والعقيدة وما تتركه في النفس من سكينة توحي بالسعادة ، وطمأنينة تبشر بالسلام . وقد حفظت لنا كتب الصوفية أناشيد رابعة العدوية التي ضمنتها نجواها لربها ، وبثت فيها مواجد حبها الالهي هتافا لم يسبقها اليه أحد ، وظل صداه يتردد من بعدها على السنة الصوفية وفيما خلفوا من تراث روحي منظوم ومنثور ستظل الانسانية بمعناها الروحي الخالص تستلهم صفحاته ، وتستمتع بنفحاته على مر العصور .

اقبلت رابعة العدوية على الله واحبته والتمست القرب منه والفناء في ذاته والانس بمطالعة جماله الازلي . وقد افرغت قلبها من مشاغل الدنيا وهمومها فلم تشتغل بشيء سواه ، وجعلت من حبها لذاته مذهبا لها في حياتها الروحية تاخذ به نفسها آخذا وتروضها عليه .

وقد تاثر بمذهبها في الحب الالهي عدد ممن جاء بعدها من الصوفية المتاخرين امثال ابن الفارض وابن سبعين .

وقد نسج على منوال رابعة عدد من شاعرات العصر الحديث اللواتي لجأن في قصائدهن التي صورن فيها حبهن للذات القدسية الى ترديد تلك المعاني التي طالما لهجت بها رابعة العدوية في اناشيدها الصوفية ، وإن لم يشابهنها في سلوك السبيل الذي اختطته لنفسها بعد ان تنسكت وزهدت في الحياة .

والحب الالهي هو اصفى الوان الحب وانقاها ، واسمى انواعه وارقاها ، وكيف لا يكون كذلك وهو المبرأ عن الهوى والغرض والمنزه عن الشهوة والغيرة .

إن الحب الالهي يستحوذ على تفكير المحب فيلهيه عما سواه ، ويملك عليه مجامع قلبه وإحساسه ومنابع شعوره ، حتى لا يترك في نفسه مكانا لحب احد غير ذات العزة الالهية التي تنزهت عن كل شبيه .

شعر المراة المعاصرة

وهكذا فان شعر المراة العربية المعاصرة المتاثر بالدين لم يسلك السبيل الذي سلكه نظيره من شعر الرجال المعاصرين . فهو لم يهب بالمسلمين الى المبادرة باصلاح شانهم عن طريق الدعوة الى التمسك بالدين والعمل بمبادئه السامية التي لا تجر على من يتمسك بها غير الخير والفلاح . بل نرى صاحباته وقد اكتفين بتصوير حبهن لذات الله في قصائد تضمنت كثيرا من الابتهالات الرقيقة التي تنم عن روح دينية صادقة وايمان ثابت مكين . وقد لجا بعضهن إلى تصوير حبهن للرسول الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وتقف الشاعرة العراقية الدكتورة عاتكة الخزرجي في طليعة الشاعرات اللواتي صورن اشواقهن الالهية ، وانشغالهن بجمال الربوبية ، وهيامهن بذات الموجود الاعظم . ففي قصيدتها « بين يدي الله » اوضحت ان لغتها وبيانها اعجز من ان يصفا حبها لله ، وانها لم تحب الكون وما فيه من بدائع الصور إلا لانه جزء من جمال الخالق الاعظم :

احبك لو صح ان الهوى
تترجمه احرف او معجم
احبك للحب لو اعربت
عن الحب قافية او بيت
اخال الهوى فوق ما في اللغى
او ان اللغى دون ما في الجنان
احبك رباه فوق الهوى
ايا من به كنت والحب كل
جمالك يا رب عم الوجود
فليس لقبح به من مكان
احب بك الخلق يا خالقي
وحوشا وطيرا وانسا وجنا
احب بك الارض يا فاطري
سماء وارضا وما تحويان
عشقتك يارب عشق الذليل
لمولى جليل عزيز المكان
جمالك يارب قد حف بي
تباركت يا واحدا دون ثان

وقد رددت عاتكة مثل هذه المعاني في قصيدتها «الله» وهي التي بينت فيها ان حبها لله قد تنزه كل رغبة ورهبة وانه خالص لذات الحب :

هواك هواي الذي يعرفون
وسرك سري فما ينكرون
احبك فوق الهوى والظنون
وفوق الذي يحسب العاشقو
هواك هواي ايا عالما
تقاصر عن وصفه الواصفو
تملكني جملة جملة
وهان به كل ما لا يهو
احبك للحب لا رغبة
ولا رهبة ، بئس ما يافكو

وقد ضمنت الشاعرة قصيدتها هذه شكواها مما الم بالمجتمع الانساني من فساد فقالت :

عبادك يارب ضلوا السبيل
وحار الدليل . فما يهتدو
اخاف عليهم وارجو لهم
فغفرانهم . إنهم لا يعو

فدوى طوقان

اما الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان فانها تصف لنا غربتها الروحية في هذه الارض ، وما يدور من صراع بين جسدها الذي يشدها نحو التراب وبين روحها التي تجذبها نحو السماء وذلك في قصيدتها « اشواق حائرة » :

لم يخل الشعر العربي في أي عصر من عصوره من التأثر بالدين، وبمبادئه السمحة، والعقيدة وما تتركه في النفس من سكينة توحي بالسعادة وطمأنينة تبشر بالسلام. وقد حفظت لنا كتب الصوفية أناشيد رابعة العدوية التي ضمنتها نجواها لربها، ويثبت فيها مواجد حبها الإلهي هتافا لم يسبقها إليه أحد، وظل صداه يتردد من بعدها على ألسنة الصوفية وفيما خلفوا من تراث روحي منظوم ومنثور ستظل الإنسانية بمعناها الروحي الخالص تستلهم صفحاته، وتستمتع بنفحاته على مر العصور.

أقبلت رابعة العدوية على الله وأحبته والتمست القرب منه والفناء في ذاته والأنس بمطالعة جمالها الأزلي. وقد أفرغت قلبها من مشاغل الدنيا وهمومها فلم تشتغل بشيء سواه، وجعلت من حبها لذاته مذهباً لها في حياتها الروحية تأخذ بها نفسها أخذاً وترويضها عليه.

وقد تأثر بمذهبها في الحب الإلهي عدد ممن جاء بعدها من الصوفية المتأخرين أمثال ابن القارض وابن سبعين.

وقد نسج على منوال رابعة عدد من شاعرات العصر الحديث اللواتي لجأن في قصائدهن التي صورن فيها حبهن للذات القدسية إلى ترديد تلك المعاني التي طالما لهجت بها رابعة العدوية في أناشيدها الصوفية، وإن لم يشابهنها في سلوك السبيل الذي اختطته لنفسها بعد أن تنسكت وزهدت في الحياة.

والحب الإلهي هو أصفى ألوان الحب وأنقاها، وأسمى أنواعه وأرقاها، وكيف لا يكون كذلك وهو المبرأ عن الهوى والغرض والمنزه عن الشهوة والغيرة.

إن الحب الإلهي يستحوذ على تفكير المحب فيلهيه عما سواه، ويملك عليه مجامع قلبه وإحساسه ومنابع شعوره حتى لا يترك في نفسه مكاناً لحب أحد غير ذات العزة الإلهية التي تنزهت عن كل شبيه.

شعر المرأة المعاصرة:

وهكذا فإن شعر المرأة العربية المعاصرة المتأثر بالدين لم يسلك السبيل الذي سلكه نظيره من شعر الرجال المعاصرين. فهو لم يهب للمسلمين إلى المبادرة بإصلاح شأنهم عن طريق الدعوة إلى التمسك بالدين والعمل بمبادئه السامية التي لا تجر على من يتمسك بها غير الخير والفلاح، بل نرى صاحباته وقد اكتفين بتصوير حبهن لذات الله في قصائد تضمنت كثيراً من الابتهالات الرقيقة التي تنم عن روح دينية صادقة وإيمان ثابت مكين. وقد لجأ بعضهن إلى تصوير حبهن للرسول الأعظم محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وتقف **الشاعرة العراقية الدكتورة عاتكة الخزرجي** في طليعة الشاعرات اللواتي صورن أشواقهن الإلهية، وانشغالهن بجمال الربوبية، وهيامهن بذات الموجود الأعظم، ففي قصيدة "بين يدي الله" أوضحت أن لغتها وبيانها أعجز من أن يصفا حبها لله، وأنها لم تحب الكون وما فيه من بدائع الصور إلا لأنه جزء من جمال الحبيب الأعظم:

أحبك لو صح أن الهوى ... تترجمه أحرف أو معان
أحبك للحب لو أعربت ... عن الحب قافية أو بيان
أخال الهوى فوق ما في اللغى ... أو أن اللغى دون ما في الجنان
أحب رباه فوق الهوى ... أيا من به كنت والحب كان
جمالك يا رب عم الوجود ... فليس لقبح به من مكان
أحب بك الخلق يا خالقي ... وحوشاً وطيراً وأنسا وجان
أحب بك الأرض يا فاطري ... سماء وأرضا وما تحويان
عشقتك يا رب عشق الذليل ... لمولى جليل عزيز المكان
جمالك يا رب قد حف بي ... تباركت يا واحداً دون ثان

وقد رددت عاتكة مثل هذه المعاني في قصيدتها "الله" وهي التي بينت فيها أن حبها لله قد تنزه عن كل رغبة ورهبة وأنه خالص لذات الحب :

هواك هواي الذي يعرفون ... وسرك سري فما ينكرون؟!
أحبك فوق الهوى والظنون ... وفوق الذي يحسب العاشقون
هواك هواي أيا عالماً ... تقاصر عن وصفه الواصفون
تملكني جملة جملة ... وهان به كل ما لا يهون
أحبك للحب لا رغبة ... ولا رهبة، بئس ما يأفكون

وقد ضمنت الشاعرة قصيدتها هذه شكواها مما لمّ بالمجتمع الإنساني من فساد فقالت:

عبـــــادك يـــــا رب ضـــــلوا الســـــبيل وحـــــار الـــــدليل، فمـــــا يهتـــــدون
أخـــــاف علـــــيهم وأرجـــــو لهـــــم فغفـــــرا لهـــــم، إلـــــنهم لا يعـــــون

أما **الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان** فإنها تصف لنا غربتها الروحية في هذه الأرض، وما يدور من صراع بين جسدها الذي يشدها نحو التراب وبين روحها اتي تجذبها نحو السماء، وذلك في قصيدتها "أشواق حائرة":

الأرض تعلـــــق بـــــي وتجـــــذبني وتشـــــد قبضـــــتها علـــــى قـــــدمي
وهنـــــاك روحـــــي هـــــائم شـــــغف بـــــالنور فـــــوق رفـــــارف الســـــدم
مســـــتحقر لـــــلأرض تفزعـــــه دنيـــــا التـــــراب وهـــــوة العـــــدم

******

روحـــــي يلـــــوب بـــــدار غربتـــــه عطشـــــاً إلـــــى ينبوعـــــه الســـــامي
فهنـــــاك أصـــــداء يسلســـــلها صـــــوت الســـــماء بروحـــــي الظـــــامي
وهنـــــا هنـــــا فـــــي الأرض يهتـــــف لـــــي صـــــوت يقيـــــد خطـــــو أقـــــدامي
صـــــوتان كـــــم لجلجـــــت بينهمـــــا يتنازعـــــان شـــــراع أيـــــامي
وأنـــــا كيـــــان تائـــــه قلـــــق يطـــــوي الوجـــــود حنينـــــه الظـــــامي

وفي قصيدة أخرى تصرخ فدوى متحدية الأرض وأثقالها وأحزانها بما منح الله روحها من ضياء الحب الخالد فتقول:

يـــــا أرض أهـــــواؤك مهمـــــا طغـــــت وأقعـــــدت خطـــــوي بثقـــــل القيـــــود
يـــــا أرض أحزانـــــك مهمـــــا قســـــت وطبقـــــت حـــــولي مجـــــالي الوجـــــود
هيهـــــات أن تلمـــــس روحـــــا ســـــرى فيـــــه مـــــن الله ضـــــياء الخلـــــود

ولصوت المنشد الحنون الذي ينبعث مع كل فجر هاتفاً "سبحان فائق الاصباح" أثر عميق في نفس فدوى، فهو يهزها ويغرق روحها في نشوة سماوية صورتها لنا في هذه الأبيات:

كلمـــــا رن فـــــي الســـــكون صـــــدى تســـــبيحة الله رائـــــع التردیـــــد
أهطعـــــت أنفـــــس وذابـــــت قلـــــوب يزدهيهـــــا الفنـــــاء فـــــي المعبـــــود
لكـــــأني بـــــالكون يهتـــــف يـــــا رب ويمضـــــي مســـــتغرقاً فـــــي الشـــــرود
لكـــــأني أحـــــس وشـــــك اتصـــــالي لكـــــأني أشـــــم عطـــــر الخلـــــود
أنـــــا يـــــا رب قطـــــرة منـــــك تاهـــــت فـــــوق أرض الشـــــقاء والتنكيـــــد
فمتـــــى أهتـــــدي إلـــــى منيعـــــي الأســـــمى وأفنـــــى فـــــي فيضـــــه المنشـــــود
ضـــــاق روحـــــي بـــــالأرض، بالأســـــر، بالقيـــــد فحـــــرر روحـــــي وفـــــك قيـــــودي
ضـــــمني، ضـــــمني إليـــــك فقـــــد طـــــال انفصـــــالي وطـــــال بـــــي تشـــــريدي

وقد رفعت **الشاعرة الأردنية الدكتورة ثريا ملحس** صوتها بمثل هذه الابتهالات التي تصور هيامها بالله وتعلقها بذاته العلية فقالت:

يـــــا إلهـــــي، يـــــا حيـــــاتي
بـــــل أيـــــا كـــــل ابتهـــــالي
كـــــم ركعـــــت فـــــي الزوايـــــا
كـــــــــــــــــــــي أذوب
فـــــــــــــي حماكـــــــــــــا.
أنـــــت لـــــي منجـــــى لروحـــــي
إن شـــــــــــــــــــــكوت
روحـــــــي الأعلـــــى صـــــداكا
إن بســـــــــــــــــــــمت
مجـــــــدي الأعلـــــى يـــــدور
فـــــــــــــي ذراكـــــــــــــا
يـــــا إلهـــــي، يـــــا حيـــــاتي
بـــــل أيـــــا كـــــل ابتهـــــالي
فـــــــــي عيـــــــوني ذرذرات
مـــــــــــن هواكـــــــــــا
أنـــــت حـــــب لـــــي يـــــدوم
فـــــــــــي علاكـــــــــــا
أنـــــت ظـــــل لـــــي رحـــــيم
يصـــــــعد النـــــور القـــــديم
مـــــــــــن نـــــــــــداكا

ابتهالات شاعرة مصرية:

وقد تضرعت **الشاعرة المصرية جليلة رضا** إلى ربها طالبة منه الهداية واليقظة الروحية والإقالة من الحيرة والعثرات:

يـــا رب ومضـــا مـــن ضـــيائك فـــي دمـــي ... وظـــلال آمـــال علـــى أجفـــاني
أو صـــحوة أخـــرى قبيـــل ترحلـــي ... بـــل هـــزة كبـــرى تـــرج كيـــاني
إنـــي علـــى طـــول الطريـــق كمـــا أنـــا ... أمضـــي وأعثـــر فـــي ذيـــول هـــواني
والصـــمت والظـــل الكئيـــب ووحـــدتي ... والظلمـــة الخرســـاء هـــم خلانـــي
وعلـــى جـــدار اللانهايـــة أرتمـــي ... حيـــرى أســـائل: مـــن أنـــا؟ مـــا شـــاني؟

وفي قصيدتها "صلاة" نجدها تسأل الله أن يعينها على تجرع حياتها التي شبهتها بكأس العذاب:

أنـــت روح الوجـــود ســـر وجـــودي ... وخيـــال الرجـــاء ســـاعة ومســـى
رب إن الحيـــاة كـــأس عـــذاب ... فـــأعني علـــى تنـــاول كأســـي

وفي "حصاد الألم" تسأله أن يزيد مقدار حبه في قلبها حتى تتمكن من أن تشمل بحبها الدنيا والناس:

رأيت الله في ليلي وصمتي ... وفي نوم الوجود المطمئن
فقلت حنانك اللهم عفوا ... جهلتك يا رحيم وأنت عوني
فهب قلبي عيوناً من ضياء ... يصد بها عثار اليأس عني
وزد مقدار حبك في فؤادي ... لأملأ ما استطعت فراغ دني
لأني إذ أحبك يا إلهي ... أحب الناس والدنيا وكوني

وقد وصفت **شاعرة مصرية أخرى هي علية الجعار** حبها لله، وحاولت أن تلتمس العذر لأخطائها بقولها:

خطاءة أنا يا رباه يدفعني ... إلى الخطيئة ما حملت من طين
إني أحبك لا خوفاً ولا طمعا ... ولا اتخذت حبيبا عنك يلهيني
إن كنت أسأل عما قد أتيت به ... من الشفاعة... إن الحب يكفيني

وقد برهنت علية الجعار على حبها للخالق بحبها الشديد لمخلوقاته التي تنطق ببديع حسنه الإلهي المشرق فقالت:

أهوى الوجود جميعه أرنو له ... فيهزني حسن بديع مشرق
هذا الجمال بصمته وجلاله ... ببديع حسنك يا إلهي ينطق
فإذا ولعت بما صنعت فكيف لا ... أهواك يا رب الوجود وأعشق؟!

أما حبها للرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه فقد صورته في ثلاث قصائد... قالت وقد وقفت على رحاب روضته الشريفة بعد أن أدت فريضة الحج لأول مرة عام 1964:

وملت على عتاب الرسول ... أقبل صفحتها السامية
ومرغت فوق ثراها جبيني ... لأمحو إثمي وأوزاريه
وهرولت نحو مقام الحبيب ... كطفل أتى أمه الحانية
فحبي له في دمي في فؤا ... دي بأعمق أغوار أعماقية
أحقا أنا في رحاب الرسو ... ل؟ أحقاً ظفرت بأحلاميه
أجل... إن هذي دموع لقاء ... على وجنتي قد همت جارية

وقد ملأت الفرحة أقطار نفسها عندما عادت ثانية إلى زيارة مسجده عليه الصلاة والسلام، فقالت:

أنا ها هنا مرة ثانية ... بكل حنيني وأشواقيه
أنا ها هنا في رحاب الرسو ... ل حبيبي، خاشعة باكية
وكل لقاء يزيد الحنين ... إلى العود في المرة الثانية
ولسوف أعود مراراً مرارا ... فإنك معقد أماليه
وسوف أعيش هنا ما حييت ... بقلبي وروحي ووجدانيه
فإنك تعلم كم يا حبيبي ... ينور حبك أعماقيه

ولها في وصف هيامها بذاته الشريفة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم:

إنـــــي أحـــــب وحبـــــي لا يعادلـــــه ... فـــي معـــرض البـــذل أمـــوال ولا أهـــل
داري ســـــأتركها خلفـــــي وأتبعـــــه ... فكـــم بقـــرب حبيبـــي عـــالمي يحلـــو
ورغـــم كثـــرة مـــن هـــاموا بـــه فأنـــا ... لا غيـــرة ألهبـــت قلبـــي ولا غـــل
فـــنحن مـــن حولـــه التفـــت مشـــاعرنا ... تعـــب مـــن فـــيض نـــور مـــا لـــه مثـــل
محمـــد ســـيد الـــدنيا ورحمتهـــا ... مـــن لفحـــة الكفـــر أنـــت الضـــوء والظـــل
يـــا لائمـــي فـــي الهـــوى مـــن ذاك يفضـــله ... هـــو الفضـــيلة والاقـــدام والنبـــل
مـــن أخلـــص الحـــب مثلـــي راح يعلنـــه ... مـــن غيـــر طـــه حبيبـــي للهـــوى أهـــل؟

دعاء وابتهال:

وقد أكثرت **الشاعرة المصرية روحية القليني** من التوجه إلى ربها بالدعاء والابتهال... تقول من قصيدتها "يقين":

إنـــــي أحـــــب وحبـــــي لا يعادلـــــه ... فـــي معـــرض البـــذل أمـــوال ولا أهـــل
داري ســـــأتركها خلفـــــي وأتبعـــــه ... فكـــم بقـــرب حبيبـــي عـــالمي يحلـــو
ورغـــم كثـــرة مـــن هـــاموا بـــه فأنـــا ... لا غيـــرة ألهبـــت قلبـــي ولا غـــل
أنـــا لـــيس لـــي إلاك ربـــي مســـعد ... فاكشـــف بنـــور الحـــق ليـــل ظنـــوني
وافـــرش فـــي طريقـــي بـــالزهور فـــإنني ... قـــد ضـــقت بالشـــوك الـــذي يـــدميني
لـــم يلعـــب الشـــك المـــروع دوره ... وصـــرعت شـــيطاني بصـــدق يقينـــي
وطلعـــت للـــدنيا بوجـــه باســـم ... رغـــم الأســـى فـــي العـــالم المفتـــون

ولها في وصف اعتمادها على الله واتكالها عليه وتطلعها إلى لقائه:

يـــا رب لـــم أعتمـــد يومـــا علـــى أحـــد ... إلا عليـــك بأمســـى أو رجـــاء غـــدي
فتشـــرق الأرض والآمـــال تبســـم لـــي ... والقلـــب يســـعد بعـــد الخـــزن والكمـــد
متـــى ألاقيـــك مثـــل النبـــع صـــافية ... وبـــالفؤاد بـــلا حقـــد ولا حســـد

ولروحية في وصف إيمانها بالله ورضاها بما قسم لها في هذه الحياة من حظ :

إيمـــان قلبـــي فيـــه ســـر ســـكينتي ... يســـري كمســـرى النـــور فـــي تكـــويني
أرضـــى بمـــا حكـــم الإلـــه وكـــل مـــا ... يرضـــى إلهـــي خـــالقي يرضـــيني

أما الغاية من تعبدها وابتهالها فقد أوضحتها في قصيدتها "إيمان" وهي التي تقول فيها:

إلهـــي إلهـــي لـــيس إيـــاك غـــايتي ... وأنـــت إلهـــي ســـر أمنـــي وعزتـــي
وحقـــك مـــا صـــليت أو صـــمت رهبـــة ... ومـــا تلـــك يـــا ربـــي مفـــاتح جنتـــي
ولكننـــي روح تبتـــل ضـــارعاً ... وطـــاب لقلبـــي فـــي هـــواك ضـــراعتي
ولـــم أخفـــض الـــرأس الأبـــي تقربـــاً ... لغيـــرك يـــا ربـــي بمحـــراب خلـــوتي
أصـــلي وأدعـــو يـــا إلهـــي تعبـــداً ... فـــإن ترضـــى عنـــي ألـــق كـــل ســـعادتي

وأما **الشاعرة المصرية شريفة فتحي** فقد ملأ حب الله قلبها حتى لم يبق فيه مكان لسواه:

ما عاد في قلبي مكان للهوى ... فالله قد ملأ الفؤاد بحبه
قلبي تغذى بالمحبة وارتوى ... لله در من استهام بربه

ولها في التسبيح بحمد الله والتعجب من بديع صنعه وتنزيهه:

تباركت يا رب من خالق ... صنعت فأبدعت أبهى الصور
ألا كيف أحييت هذا التراب؟ ... وأنبت فيه ظليل الشجر
ونسقت يا رب حسن الزهور ... وأخرجت منها الجنى والثمر
وأنطلقت باللحن تلك الطيور ... تغرد شادية في السحر
وسويت يا أحكم الحاكمين ... من الطين والماء هذا البشر
وعلمته من لدنك البيان ... وأودعت عينيه نور البصر
ويا من إذا أمره قال كن ... يكون بقدرته ما أمر

خامساً: المرأة العربية والشعر لمحة تاريخية

مجلة تايكي : مجلة ثقافية تصدر كل شهرين – العدد الثالث عشر 2003 – المملكة الأردنية الهاشمية. الموضوع: المرأة العربية والشعر – لمحة تاريخية، صفحة 6، بقلم د. رجا سمرين.

6

المرأة العربية والشعر
لمحة تاريخية

الدكتور رجا سمرين

لا بد لكل باحث يتصدى لدراسة شعر المرأة العربية من أن يطرح على نفسه سؤالين هما: هل هنالك أدب نسائي؟ وإذا سلمنا بوجود أدب نسائي، فهل هنالك شعر نسائي؟

وللإجابة على هذين السؤالين ينبغي علينا أولاً وقبل كل شيء أن نبين أننا عندما ندعي بوجود أدب نسائي، أو شعر نسائي فإننا لا نقصد أن نقوم بعملية عزل نخصص من خلالها نوعاً من الأدب أو الشعر نستطيع أن نعلق عليه لافتة تقول: هذا أدب نساء أو هذا شعر نساء. ولكننا نعني بذلك أننا نفترض أن تكون هنالك أجناس أدبية إذا تعمقها الباحث، وراح يتلمس اتجاهاتها وأغوارها ونوازعها لم يملك نفسه من أن يقول: هذا أدب امرأة .. هذه أفكار أنثى.

ونحن ندرك أن العوامل التي عملت على تطور الشعر النسوي على مر العصور لم تجعل تأثيرها وقفاً عليه وحده، إذ مهما تكن الفروق بين الشعر النسائي وشعر الرجال، فإنه لن يكون في إمكاننا أن نعزل أحدهما عن الآخر عزلاً تاماً، بل إننا نزعم أنه ليس في الاستطاعة فصل الشعر فصلاً جذرياً عن الأدب عموماً. والسبب هو أن بين الأجناس الأدبية من الأواصر ووجوه التفاعل والتأثر ما يجعل من الصعوبة بمكان القيام بمثل هذه العملية من عمليات فصل الأجناس الأدبية بعضها عن بعض. ولكننا نعلم أن درجة استجابة الأدب لأسباب التأثر والتأثير تختلف من جنس إلى آخر، كما أن درجة استجابة الأدباء لعوامل التطور والنمو تختلف من أديب إلى آخر بسبب الفوارق الشخصية التي تظل قائمة بين الأدباء نتيجة لاختلاف بيئاتهم الجغرافية والاجتماعية والثقافية والنفسية. ولهذا كان من الطبيعي أن تكون هنالك فوارق تميز شعر المرأة من شعر الرجل نتيجة للخصوصية الكائنة بين الجنسين. ومن هذا المنطلق نقول بأن هنالك أدباً نسائياً وشعراً نسائياً يستحق كل منهما أن يكون موضوعاً لعدد من الدراسات الجادة شأنهما في ذلك شأن ما يصدر عن الرجال من إبداع أدبي في مجالي الشعر والنثر. ولهذا نقول إنه منذ أن عرفت المرأة سبيلها إلى التعبير، فإنها أحست كما أحسَّ الرجل بما يحيط بها من دواعي التفكير، وإثارة الشعور ولعلها في بداية عهدها بالشعر قد اقتصرت على ما كانت تتغنى به من أهازيج وهي تهز المهد بيمينها .. ثم جاء العصر الجاهلي فبدرت بوادر شعر نسائي جيد فاضت به قرائح مئات من

لا بد لكل باحث يتصدى لدراسة شعر المرأة العربية من أن يطرح على نفسه سؤالين هما: هل هنالك أدب نسائي؟ وإذا سلمنا بوجود أدب نسائي، فهل هنالك شعر نسائي؟

وللإجابة على هذين السؤالين ينبغي علينا أولاً وقبل كل شيء أن نبين أننا عندما ندعي بوجود أدب نسائي، أو شعر نسائي فإننا لا نقصد أن نقوم بعملية عزل نخصص من خلالها نوعاً من الأدب والشعر نستطيع أن نعلق عليه لافتة تقول: هذا أدب نساء أو هذا شعر نساء. ولكننا نعني بذلك أننا نفترض أن تكون هناك أجناس أدبية إذا تعمقها الباحث، وراح يتلمس اتجاهاتها وأغوارها ونوازعها لم يملك نفسه من أن يقول: هذا أدب امرأة.. هذه أفكار أنثى.

ونحن ندرك أن العوامل التي عملت على تطور الشعر النسوي على مر العصور لم تجعل تأثيرها وقفاً عليه وحده، إذ مهما تكن الفروق بين الشعر النسائي وشعر الرجال، فإنه لن يكون في إمكاننا أن نعزل أحدهما عن الآخر عزلاً تاماً، بل إننا نزعم أنه ليس في الاستطاعة فصل الشعر فصلاً جذرياً عن الأدب عموماً، والسبب هو أن بين الأجناس الأدبية من الأواصر ووجوه التفاعل والتأثر ما يجعل من الصعوبة بمكان القيام بمثل هذه العملية من عمليات فصل الأجناس الأدبية بعضها عن بعض. ولكننا نعلم أن درجة استجابة الأدب لأسباب التأثر والتأثير تختلف من جنس إلى آخر، كما أن درجة استجابة الأدباء لعوامل التطور والنمو تختلف من أديب إلى آخر بسبب الفوارق الشخصية التي تظل قائمة بين الأدباء نتيجة لاختلاف بيئاتهم الجغرافية والاجتماعية والثقافية والنفسية. ولهذا كان من الطبيعي أن تكون هنالك فوارق تميز شعر المرأة من شعر الرجل نتيجة للخصوصية الكائنة بين الجنسين. ومن هذا المنطلق نقول بأن هنالك أدباً نسائياً وشعراً نسائياً يستحق كل منهما أن يكون موضوعاً لعدد من الدراسات الجادة شأنهما في ذلك شأن ما يصدر عن الرجال من إبداع أدبي في مجالي الشعر والنثر. ولهذا نقول إنه منذ أن عرفت المرأة سبيلها إلى التعبير، فإنها أحست كما أحس الرجل بما يحيط بها من دواعي التفكير، وإثارة الشعور ولعلها في بداية عهدها بالشعر قد اقتصرت على ما كانت تتغنى به من أهازيج وهي تهز المهد بيمينها.. ثم جاء العصر الجاهلي فبدرت بوادر شعر نسائي جيد فاضت به قرائح مئات من الشاعرات الجاهليات من أمثال: ليلى بنت لكيز بن ربيعة المعروفة بليلى العفيفة وقد توفيت سنة 483م، وطبعت أخبارها وأشعارها في كتاب شعراء

النصرانية، ومنهن جليلة بنت مرة التي عاصرت مهلهل بن ربيعة أول من هلهل الشعر من الرجال. ومنهن خرنق بنت بدر بن هفان، وهي أخت طرفة بن العبد لأمه. والدعجاء بنت المنتشر، والسلكة أم السليك، ودختنوس بنت لقيط بن زراة، وكبشة بنت معدي كرب الزبيدية وغيرهن كثير.

وقد حفلت كتب الأدب بذكر عدد كبير من الشواعر المخضرمات ومنهن الخنساء، وقتيبة بنت الحارث، وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان، وعاتكة بنت عمرو بن نفيل، وليلى بنت طريف، وعاتكة بنت عبدالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحميدة بنت النعمان بن بشير الأنصارية وسواهن.

وفي العصر الأموي لمع عدد كبير من كواكب الشعر النسائي في مقدمتهن أم حكيم وكانت فارسة شجاعة تقاتل مع زوجها قطري بن الفجاءة في صفوف الخوارج، ومنهن ضاحية الهلالية، وأم ضيغم البلوية، وبكارة الهلالية وليلى الأخيلية وهي من أعف العاشقات وأجملهن، وأكثر شعرها في الرد على توبة بن الحمير النقيلي ورثائه، وقد وفدت على الحجاج ومعاوية وعبدالملك بن مروان ومدحتهم، ونالت أعطياتهم، كما تهاجت مع النابغة الجعدي وغلبته. وفي العصر العباسي تألق في سماء الشعر عدد من النساء منهن فضل، وسلامة القس، وبصيص جارية ابن نفيس، ومتيم الهشامية جارية على بن هشام، وعريب وهي جارية ملكها ثمانية من الخلفاء، ومحبوبة، وعلية بنت المهدي أخت هارون الرشيد، وقد خصت بالمراسلة غلاماً يدعى "طلًّا" وقد قيل إنها عشقته.

وقد نبغ في الأندلس عدد كبير من الشاعرات منهن ولادة بنت المستكفي، وحفصة بنت حمدون الحجازية، والعبادية جارية المعتضد، وبثينة بنت المعتمد، ومهجة القرطبية، واعتماد جارية المعتمد بن عباد وأم أولاده، ونزهون الغرناطية وهي من أهل المائة الخامسة.

وقد ذكر كل من ابن حجر في "الدرر الكامنة"، والسخاوي في "الضوء اللامع"، أسماء عدد ممن اشتغلن بنظم الشعر من النساء في عصور الانحطاط الأدبي، ولكن ألمع الأسماء التي تلألأت في ظلمات هذه العصور كان اسم عائشة الباعونية المتوفاة سنة 922م. ومن آثارها: الفتح المبين في

مدح الأمين، ويوجد نسخة منه في مكتبة برلين، وديوان "فيض الفضل"، "والمورد الأهنا في المولد الأسني"، وهما في الخزانة التيمورية.

وفي عصر النهضة التي بزغ فيها فجر البعث الأدبي تمكنت أصوات دعاة النهضة من اختراق جدران مخادع الحريم، وهتك أستار الحجاب، وإيقاظ وجدان عدد من النساء اللواتي لمعت أسماؤهن في سماء الشعر، وتمكن من تحقيق وجود المرأة العربية الفني بعد أن مر عليها حين من الدهر لم يكن لها خلاله وجود يتناسب مع ما ينبغي أن يكون للمرأة العربية من مكانة في عالم الأدب والفن.

ومن كواكب الشعر اللواتي تألقن في عصر النهضة وردة اليازجي التي أصدرت ديوانها "حديقة الورد" سنة 1867م، وقد امتد بها العمر حتى سنة 1945م. ومنهن مريانا مراش الشاعرة الحلبية، وكان بيتها أول صالون أدبي عرفه المشرق العربي. وقد جمعت أشعارها في ديوان صغير أسمته "بنت فكر" وقد قضت نحبها سنة 1919م. ومنهن عائشة التيمورية المتوفاة سنة 1902م، وهي صاحبة ديوان "حلية الطراز" وقد نظمت الأزجال والموشحات والقصائد في ثلاث لغات هي العربية والتركية والفارسية.

ومنهن أمينة نجيب التي لم يجمع شعرها في ديوان وقد لحقت بالرفيق الأعلى عام 1917م، ومنهن كذلك ملك حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية، وزينب فواز، وماري عجمي، ومريانا المر، ومنيرة توفيق. وكما عرف الشعر المرأة العربية ناظمة في العصور القديمة فقد عرفها راوية وناقدة، ومن الروايات الشهيرات:

الفارعة بنت أبي الصلت، وكانت تروي عن أخيها أمية. وقد وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتح الطائف، فقال لها: هل تحفظين من شعر أخيك شيئاً؟ فأنشدته من شعره الديني، فقال: آمن شعره وكفر قلبه.

وكانت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها مثلاً في رواية الشعر، ومن أشهر الناقدات في العصور الإسلامية الأولى سكينة بنت الحسين، وكان نقدها يقوم على الاستحسان والاستهجان في جمل قصيرة تعلل فيها لما تنقد من أبيات.

وتعد الآنسة مي زيادة من أبرز الناقدات في عصر النهضة يشهد على ذلك دراستها التي أعدتها عن شعر عائشة التيمورية وقد نشرتها مع ديوانها "حلية الطراز"، ولكن مما يؤخذ عليها تعاطفها مع المنقود والتماسها العذر لعثراته.

وربما يتبادر إلى الأذهان أن عدد الشواعر في العصور السابقة من الكثرة بحيث يتناسب وطبيعة المرأة الوجدانية ومزاجها العاطفي، وإحساسها المرهف وغير ذلك من الصفات التي تجعلها ذات استعداد فطري للفن بوجه عام ولنظم الشعر بوجه خاص.

ولكن الواقع مخالف لذلك تمام المخالفة، إذ كان ينبغي أن يحفل ديوان الشعر العربي بعدد أكبر من أسماء الشواعر اللواتي عنيت كتب الأدب واللغة والتاريخ بذكرهن. لأنه ليس مما يثير الدهشة أو الاستغراب أن تستجيب المرأة العربية لنداء عرائس الشعر، أو أن تلبي دعوة شيطانية، بل العجب كل العجب ألا تفعل ذلك، وأن تقف مشدوهة أو مبهورة أو متحيرة أمام دواعي الاستثارة، وإهاجة الشعور.

فالوجدانية وهي العنصر المشترك بين جميع الفنون من أخص خصائص المرأة كما تقول الدكتورة بنت الشاطىء وكما هو الواقع فعلاً.

علينا إذن قبل أن نمضي مع موكب الشعر النسائي إلى العصر الحديث أن نتعرف على الأسباب التي جعلت عدد الشواعر العربيات غير متفق مع القدر الذي يتيحه استعداد المرأة الفطري لقول الشعر.

ونحن نعتقد أن القدامى من مؤرخي الأدب قد حرصوا وبإصرار متعمد على وضع المرأة العربية وآثارها في منطقة الظل. وسبب ذلك أن حركة التدوين التي كانت قد بلغت أوجها في العصر العباسي قد تمت على أيدي رجال آمنوا بعقلية مجتمع كان قد حكم على المرأة بالوأد المعنوي بعد أن تم له عزلها عن الحياة العامة، وضرب حولها الأسوار والأستار، وجعلها قعيدة في بيوت الحريم.

وعلى سبيل التمثيل لا الحصر نجد أن المفضل الضبي في "المفضليات" لم يورد سوى خمسة أبيات في الرثاء لامرأة من ضبيعة، ضن علينا حتى بذكر اسمها أو العصر الذي عاشت فيه.

وابن سلام الجمحي في "طبقات الشعراء" لم يذكر من الشواعر غير الخنساء، أما ليلى الأخيلية فلم يأت على ذكرها إلا في معرض حديثه عن النابغة الجعدي.

ولم يذكر الآمدي في كتابه "المؤلف والمختلف" سوى بضع شاعرات. أما محمد بن عمران المرزباني فلم يجد مكاناً في "معجم الشعراء" ليذكر فيه أية شاعرة. وقد يشفع له أنه ألف كتاباً في ثلاثة أجزاء سماه "أشعار النساء" غير أن الموجود منه هو الجزء الثالث فقط، وهو لا يزال مخطوطاً. وقد ذكر القرشي في "الجمهرة" تسعة وأربعين شاعراً ولم يذكر معهم شاعرة واحدة.

أما أبو الفرج الأصفهاني فلم يتجاوز عدد ما ذكره في كتابه "الأغاني" الذي يتألف من واحد وعشرين جزءًا سوى عشر شاعرات وقد تحدث عنهن بصفتهن مغنيات لا شاعرات.

وقد حذا عدد من مؤرخي الأدب المحدثين حذو القدماء في تجاهل المرأة العربية وآثارها الشعرية. ومن هؤلاء جورجي زيدان الذي لم يترجم في الجزء الأول من كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" إلا لأربع من شواعر الجاهلية، وواحدة من شاعرات العصر الأموي، وفي الجزء الثاني لم يترجم لأي شاعرة. وفي الجزء الثالث لم يترجم إلا لعائشة الباعونية. وقد فعل مثل ذلك في الجزء الرابع حيث لم يعتن إلا بذكر عائشة التيمورية.

وفي الجزء الأول من "جواهر الأدب" للسيد أحمد الهاشمي تراجم لأربع من الشواعر القديمات، وفي الجزء الثاني منه ترجمتان إحداهما للخنساء، والأخرى لباحثة البادية.

ولم يذكر الدكتور على أحمد سعيد في الجزء الأول من كتابه "ديوان الشعر العربي" سوى ست شاعرات من بين مائتين وثلاثة وعشرين شاعراً. ولكنه في الجزء الثاني لم يجد متسعاً لأية شاعرة بين مائة وثلاثة من الشعراء.

ويقرر أبو عمرو بن العلاء وابن سلام وعمر بن الخطاب وسواهم من الباحثين والنقاد القدماء أن كثيراً من الشعر الجاهلي قد ضاع. ونحن لا نستبعد والحالة هذه أن يكون المفقود من شعر النساء أكثر من نظيره من شعر الرجال.

ولقد حرص الرواة على جمع وتحصيل الشعر الذي يمتاز بالفحولة وكثرة الغريب لما فيه من قيمة لغوية. وشعر النساء أقل فحولة. وأندر غريباً من شعر الرجال. ولعل الرواة عدوا اتسام شعر النساء بعدم تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة من العيوب الفنية التي تنقص من قدره فعزفوا عن جمعه وروايته.

وقد قلت عناية المؤرخين والإخباريين بشعر النساء كذلك لندرة ما يحتويه من ذكر لأيام العرب وحروبهم وغزواتهم وقلة شعر الحرب والحماسة والمفاخرات الذي يشكل باباً كبيراً من أبواب الشعر العربي القديم لأن الحرب والحماسة من الأعمال التي هي ألصق بالرجال منها بالنساء.

ولعل في هذه الأسباب مجتمعة ما يفسر قلة ما وصل إلى علمنا من أسماء الشواعر العربية في العصور السابقة، وهي بالتالي توضح ندرة ما انتهى إلينا من نتاجهن.

وقد درج مؤرخو الأدب العربي على تصوير الشاعرة العربية عبر العصور راثية لا غير، زاعمين أن فطرتها أكثر ميلاً لهذا الفن من فنون الشعر من سواه وقد تجاهل هؤلاء خاصة من أهم خصائص المرأة، وهي أنها وبدافع من طبيعتها الانثوية أكثر من الرجل حباً اللتنويع وأسرع استجابة منه للتغيير في كل ما يتصل بحياتها من المظاهر والمجالات.

وفي رأينا أن الأسباب التي حالت بيننا وبين معرفة العدد الحقيقي للشواعر القديمات قد تحكمت كذلك فيما روي عن المرأة العربية من ألوان الشعر وفنونه المختلفة، لأن القدماء لم يروا أن من حق الشاعرة العربية أن تتحدث عن عاطفتها أو أن تكشف عن أسرار ذاتها وخلجات نفسها، فلا غرابة إذن إذا رأيناهم وقد تجاهلوا ما قالته الشواعر القديمات في غير الرثاء وأهدروه في الوقت الذي لم يترددوا فيه في رواية قصائد الشعراء الذين نطقوا بلسان على نحو ما فعل امرؤ القيس، وعمرة بن أبي ربيعة، وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح وجميل بن معمر وكثير عزة وذو الرمة والعباس بن الأحنف وسواهم ممن تحدثوا بلسان فاطمة وهند والرباب ونُعم وليلى ولبنى وبثينة وعزة ومية وفوز وغيرهن.

وهكذا نجد أن الرجال قد أعطوا لأنفسهم الحق في ترجمة عواطف المرأة وتصوير عالمها الخاص في الوقت الذي تجاهلوا فيه معظم اللواتي تحدثن صراحة عن وجدانهن الأنثوي، وأهملوا ما نظمنه في غير الرثاء.

وينبغي أن نقرر أن وصف الشاعرة العربية القديمة بأنها راثية ندابة أمر لا يصمد للدراسة الجادة فالخنساء وهي أول من ألصقت بها هذه التهمة لها قصائد متعددة في غير الرثاء ومنها: رائيتهاالرائعة في وصف سباق جرى بين أبيها وأخيها ومطلعها:

جـــــارى أبـــــاه فـــــأقبلا وهمـــــا يتعـــــاوران مـــــلاءة الفخـــــر

وقد سئل أبو عبيدة عن سبب إغفاله لهذه القصيدة ضمن ما رواه من شعرها، فأجاب باعتذار هو أقبح من ذنب الإغفال نفسه حين قال: "العامة أسقط من أن يُجاد عليها بمثل هذا الشعر".

أضف إلى ذلك أن الخنساء قد أشادت بقيس بن عامر الجشمي ومدحته حين ثار لها من هاشم بن حرملة قاتل أخيها معاوية.

وقد هجت دريد بن الصمة وقومه بعد أن هجاها لأنها صدته عندما تقدم لخطبتها، ولها بعد هذا وذاك شعر في الفخر بأبيها وأخيها وقومها.

وقد نظمت الشواعر القديمات في التحريض على الحرب وتشجيع المقاتلين لأنهن عشن بيئة تتوالد فيها الحروب. وقد افتخرن بقبائلهن وذوي أرحامهن، ولكن نصيبهن من المدح كان قليلاً جداً.

وقد شاركن في الهجاء ولكنهن ابتعدن عن الإفحاش فيه باستثناء شاعرات العصر العباسي اللاتي أفحشن في هجائهن تأثراً بالترف والبيئة المتحضرة المترفة. لم تتردد الشاعرة العربية القديمة عن خوض غمار الشعر السياسي على نحو ما فعلت بكارة الهلالية التي استنكرت خلافة معاوية وصورت ضيقها بتولي الأمويين السلطة وعيبهم المستمر لآل البيت وقد فعلت أم سنان الجشمية ما فعلته بكارة فحرضت آل مزحج على قتال الأمويين.

طرقت شاعرات العرب باب الوصف نادراً، وقد برعت شاعرات الأندلس فيه أكثر من سواهن وقد تغزلت الشاعرة العربية القديمة على ندرة وقلة، والسبب في ذلك أن العرب لم تكن تحب للنساء الجهر بحبهن.

وعلى الرغم من أن المرأة العربية الحديثة قد شاركت في ولوج الميدان الأدبي من أوسع الأبواب، فإن الشعر يظل أهم الميادين التي ساهمت فيها شأنها في ذلك شأن اخواتها في العصور السابقة، وقد نظمت الشاعرة العربية الشعر الموزون المقفى، وشعر التفعيلة الذي تخفف من قيدي القافية ووحدة البيت اللذين يتمسك بها الشعر الموروث.

وفي العالم العربي عدد من الأديبات اللواتي تخصصن في كتابة ما يسمى بالشعر المنثور، وعدد من الشاعرات اللواتي أتيح لهن نظم الشعر ببعض اللغات الأجنبية، وليس من مهمة هذا المحور التعريف بهؤلاء، غير أن الملاحظ أن دائرة الاتجاه الذاتي تشكل أوسع من دائرة حلق فيها شعر المرأة العربية المعاصرة، وذلك لأسباب عديدة منها تأثر الشاعرة العربية بالمذهب الرومانسي المتعاطف مع الطبيعة وهذا لا يعني أن الشعر النسوي لم يدخل في مجال القضايا الاجتماعية والوطنية والقومية والإنسانية، فقد مجدن التضحية والفداء، وصورن الهزائم العربية وعقابيلها.

وقد تميز شعر المرأة العربية بصدق العاطفة وحدتها واستوائها وهذه الظاهرة أكثر وضوحاً في شعرها الذاتي والوطني والقومي من سواه، كما تميز بالقدرة على الأيحاء بواسطة الصور حيث تمكنت كثرات منهم من إعادة الكلمات إلى قوة معانيها التصويرية الفطرية في اللغة، هذا بالإضافة إلى وضوح التجربة الشعرية في نفس الشاعرة مع الحفاظ على الوحدة العضوية للقصيدة. والحق أن أخيلة الشاعرات المعاصرات لم تقف عند حدود الصور المرئية، وقد ساعد شيوع العنصر الدرامي في التجارب الشعرية النسوية الحديثة على توافر الإيحاء وأكسب عواطف الشاعرات مظهر الموضوعية، كما يلاحظ التنويع في الصياغة الموسيقية، فقد التزمن بعروض الخليل في قصائد كثيرة، وصاغت أخريات شعرهن بالمراوحة بين الشكل التقليدي وشعر التفعيلة وقد نزعت بعضهن ككلثوم مالك عرابي إلى تحرير بعض تجاربها من الوزن تحريراً تاماً مما أدى إلى خلط واضح بين الشعر والنثر.

إن ما سبق من تنظير حول تجربة الشاعرة العربية لا ينفي أن تكون تلك التجربة محفوفة بأخطاء في الوزن والقافية والتصرف ببحور الشعر بطريقة لا تبيحها قواعد العروض، وأخطاء نحوية وصرفية وأسلوبية وتكرار لا يستدعيه المقام هذا بالإضافة إلى النثرية والتقريرية وأحياناً الركاكة وترديد المعاني التقليدية.

وبعد فإن تجربة الشاعرة العربية تجربة تستحق أن تدرس في سياقها التاريخي والاجتماعي ريادة وحداثة.

سادساً: ظاهرة الإعداد الشكلي للدروس

كتيب تربوي ثقافي إسلامي اجتماعي (جمعية المعلمين الكويتية–اللجنة الثقافية) 1984م: الكويت.

الموضوع: ظاهرة الإعداد الشكلي للدروس، صفحة 45، بقلم د. رجا سمرين.

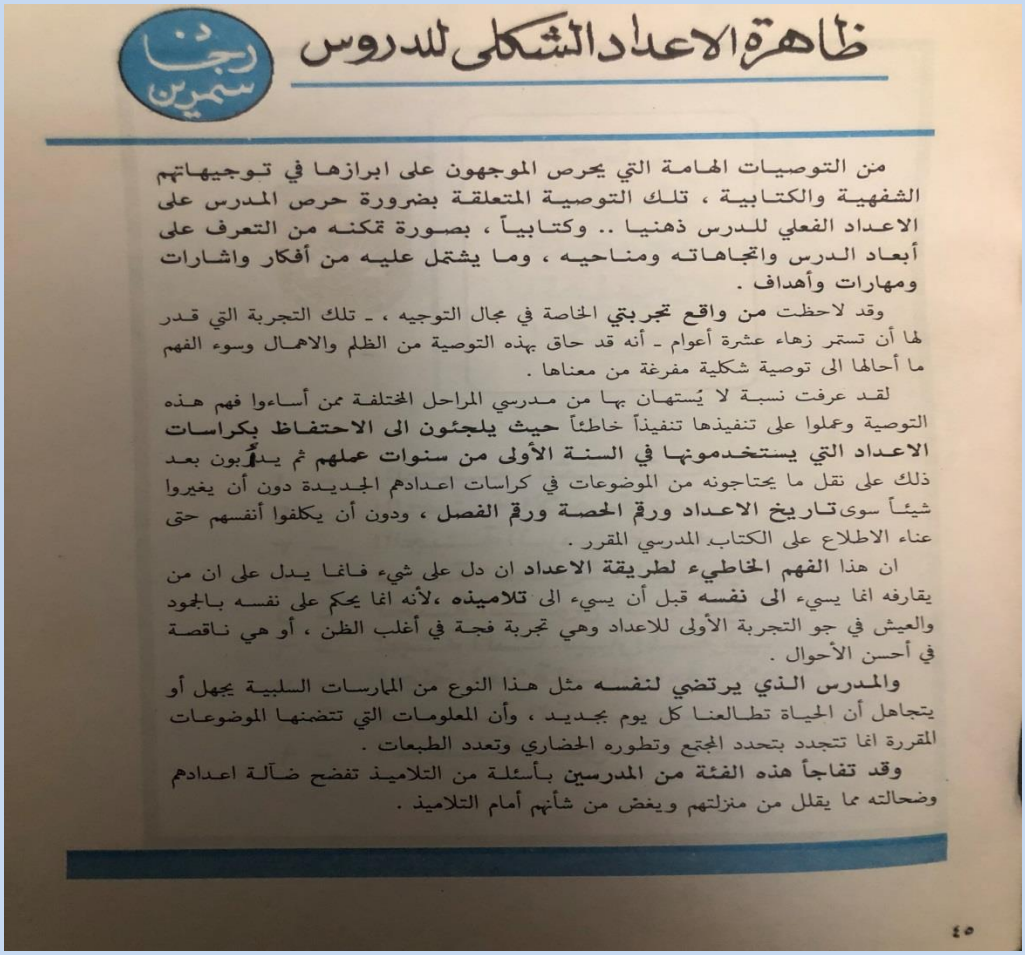

ظاهرة الاعداد الشكلي للدروس

رجا سمرين

من التوصيات الهامة التي يحرص الموجهون على ابرازها في توجيهاتهم الشفهية والكتابية ، تلك التوصية المتعلقة بضرورة حرص المدرس على الاعداد الفعلي للدرس ذهنيا .. وكتابياً ، بصورة تمكنه من التعرف على أبعاد الدرس واتجاهاته ومناحيه ، وما يشتمل عليه من أفكار واشارات ومهارات وأهداف .

وقد لاحظت من واقع تجربتي الخاصة في مجال التوجيه ، ـ تلك التجربة التي قدر لها أن تستمر زهاء عشرة أعوام ـ أنه قد حاق بهذه التوصية من الظلم والاهمال وسوء الفهم ما أحالها الى توصية شكلية مفرغة من معناها .

لقد عرفت نسبة لا يُستهان بها من مدرسي المراحل المختلفة ممن أساءوا فهم هذه التوصية وعملوا على تنفيذها تنفيذاً خاطئاً حيث يلجئون الى الاحتفاظ بكراسات الاعداد التي يستخدمونها في السنة الأولى من سنوات عملهم ثم يداومون بعد ذلك على نقل ما يحتاجونه من الموضوعات في كراسات اعدادهم الجديدة دون أن يغيروا شيئاً سوى تاريخ الاعداد ورقم الحصة ورقم الفصل ، ودون أن يكلفوا أنفسهم حتى عناء الاطلاع على الكتاب المدرسي المقرر .

ان هذا الفهم الخاطيء لطريقة الاعداد ان دل على شيء فانما يدل على ان من يقارفه انما يسيء الى نفسه قبل أن يسيء الى تلاميذه ،لأنه انما يحكم على نفسه بالجمود والعيش في جو التجربة الأولى للاعداد وهي تجربة فجة في أغلب الظن ، أو هي ناقصة في أحسن الأحوال .

والمدرس الذي يرتضي لنفسه مثل هذا النوع من الممارسات السلبية يجهل أو يتجاهل أن الحياة تطالعنا كل يوم بجديد ، وأن المعلومات التي تتضمنها الموضوعات المقررة انما تتجدد بتجدد المجتمع وتطوره الحضاري وتعدد الطبعات .

وقد تفاجأ هذه الفئة من المدرسين بأسئلة من التلاميذ تفضح ضآلة اعدادهم وضحالته مما يقلل من منزلتهم ويغض من شأنهم أمام التلاميذ .

٤٥

من التوصيات الهامة التي يحرص الموجهون على إبرازها في توجيهاتهم الشفهية والكتابية، تلك التوصية المتعلقة بضرورة حرص المدرس على الإعداد الفعلي للدرس ذهنياً.. وكتابياً، بصورة تمكنه من التعرف على أبعاد الدرس واتجاهاته ومناحيه، وما يشتمل عليه من أفكار وإشارات ومهارات وأهداف.

وقد لاحظت من واقع تجربتي الخاصة في مجال التوجيه، – تلك التجربة التي قدر لها أن تستمر زهاء عشرة أعوام– أنه قد حاق بهذه التوصية من الظلم والأهمال وسوء الفهم ما أحالها إلى توصية شكلية مفرغة من معناها.

لقد عرفت نسبة لا يستهان بها من مدرسي المراحل المختلفة ممن أساءوا فهم هذه التوصية وعملوا على تنفيذها تنفيذاً خاطئاً حيث يلجأون إلى الاحتفاظ بكراسات الإعداد التي يستخدمونها في السنة الأولى من سنوات عملهم ثم يدربون بعد ذلك على نقل ما يحتاجونه من الموضوعات في كراسات إعدادهم الجديدة دون أن يغيروا شيئاً سوى تاريخ الإعداد ورقم الحصة ورقم الفصل، ودون أن يكلفوا أنفسهم حتى عناء الاطلاع على الكتاب المدرسي المقرر.

إن هذا الفهم الخاطىء لطريقة الإعداد إن دل على شيء فإنما يدل على أن من يقارفه إنما يسيء إلى نفسه قبل أن يسيء إلى تلاميذه، لأنه إنما يحكم على نفسه بالجمود والعيش في جو التجربة الأولى للإعداد وهي تجربة فجة في أغلب الظن، أو هي ناقصة في أحسن الأحوال.

والمدرس الذي يرتضي لنفسه مثل هذه النوع من الممارسات السلبية يجهل أو يتجاهل أن الحياة تطالعنا كل يوم بجديد، وأن المعلومات التي تتضمنها الموضوعات المقررة إنما تتجدد بتحدد المجتمع وتطوره الحضاري وتعدد الطبعات.

وقد تفاجأ هذه الفئة من المدرسين بأسئلة من التلاميذ تفضح ضآلة إعدادهم وضحالته مما يقلل من منزلتهم ويغض من شأنهم أمام التلاميذ.

سابعاً: النزعة الإنسانية في شعر أبي العلاء المعرى

مجلة الثقافة العربية، العدد الخامس، السنة الثالثة، مايو 1976. من منشورات المؤسسة العامة للصحافة بالجمهورية العربية الليبية. الموضوع: النزعة الإنسانية في شعر أبي العلاء المعرى، صفحة 15، بقلم د. رجا سمرين.

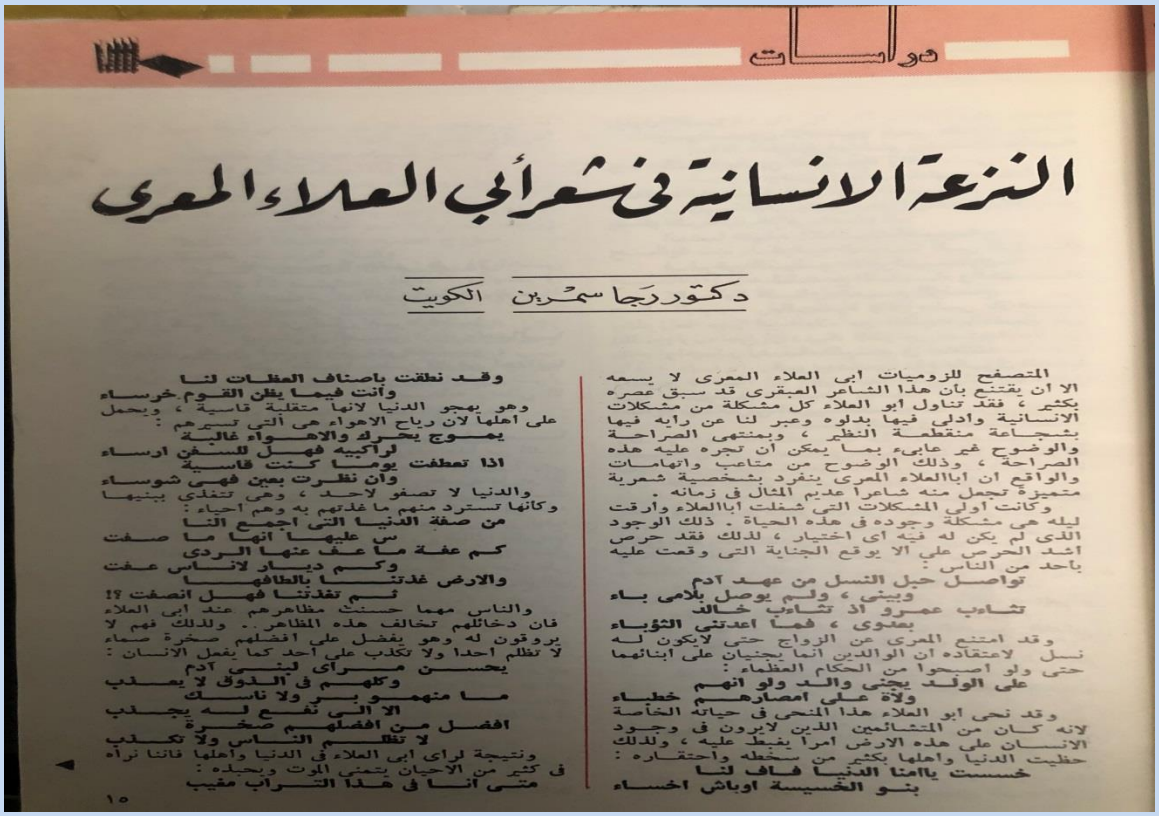

دراسات

النزعة الانسانية فى شعر أبي العلاء المعرى

دكتور رجا سمرين الكويت

المتصفح للزوميات ابى العلاء المعرى لا يسعه الا ان يقتنع بأن هذا الشاعر العبقرى قد سبق عصره بكثير ، فقد تناول ابو العلاء كل مشكلة من مشكلات الانسانية وادلى فيها بدلوه وعبر لنا عن رايه فيها بشجاعة منقطعة النظير ، وبمنتهى الصراحة والوضوح غير عابىء بما يمكن ان تجره عليه هذه الصراحة ، وذلك الوضوح من متاعب واتهامات والواقع ان ابا العلاء المعرى ينفرد بشخصية شعرية مشميزة تجعل منه شاعرا عديم المثال فى زمانه .

وكانت أولى المشكلات التى شغلت أبا العلاء وأرقت ليله هى مشكلة وجوده فى هذه الحياة . ذلك الوجود الذى لم يكن له فيه اى اختيار ، لذلك فقد حرص اشد الحرص على الا يوقع الجناية التى وقعت عليه باحد من الناس :

تواصل حبل النسل من عهد آدم
وبيني ، ولم يوصل بلامى بباء
تشاءب عمرو اذ تشاءب خالد
بعدوى ، فهما اعدتني الثؤباء

وقد امتنع المعرى عن الزواج حتى لايكون له نسل لاعتقاده ان الوالدين انما يجنيان على ابنائهما حتى ولو اصبحوا من الحكام العظماء :

على الولد يجني والد ولو انهم
ولاة على امصارهم خطباء

وقد نحى ابو العلاء هذا المنحى فى حياته القاسية لانه كان من المتشائمين الذين لايرون فى وجود الانسان على هذه الارض امرا يغبط عليه ، ولذلك حظيت الدنيا واهلها بكثير من سخطه واحتقاره :

خسست يا امنا الدنيا فاف لنا
بنو الخسيسة اوباش اخساء

وقد نطقت باصناف المقالات لنا
وانت فيما يظن القوم خرساء

وهو يهجو الدنيا لانها متقلبة قاسية ، ويحمل على اهلها لان رياح الاهواء هى التى تسيرهم :

يموج بحرك والاهواء غالبة
لراكبيه فهل للسفن ارساء
اذا تعطفت يوما كنت قاسية
وان نظرت بعين فهى شوساء

والدنيا لا تصفو لاحد ، وهى تتغذى بنيها وكانها تسترد منهم ما غذتهم به وهم احياء :

من صفة الدنيا التى اجمع النا
س عليها انها ما صفت
كم عفة ما عف عنها الردى
وكم ديار لاناس عفت
والارض غذتنا بالطافها
ثم تغذتنا فهل انصفت ؟!

والناس مهما حسنت مظاهرهم عند ابى العلاء فان دخائلهم تخالف هذه المظاهر . ولذلك فهم لا يروقون له وهو يفضل على افضلهم صخرة صماء لا تظلم احدا ولا تكذب على احد كما يفعل الانسان :

يحسن مرآى لبنى آدم
وكلهم فى الذوق لا يعذب
ما منهمو بر ولا ناسك
الا الى نفع له يجذب
افضل من افضلهم صخرة
لا تظلم الناس ولا تكذب

ونتيجة لراى ابى العلاء فى الدنيا واهلها فاننا نراه فى كثير من الاحيان يتمنى الموت ويجلده :

متى انا فى هذا التراب مغيب

المتصفح للزوميات أبي العلاء المعرى لا يسعه إلا أن يقتنع بأن هذا الشاعر العبقري قد سبق عصره بكثير، فقد تناول أبو العلاء كل مشكلة من مشكلات الإنسانية وأدلى بدلوه وعبر لنا عن رأيه فيها بشجاعة منقطعة النظير، وبمنتهى الصراحة والوضوح غير عابىء بما يمكن أن تجره عليه هذه الصراحة، وذلك الوضوح من متاعب واتهامات.

والواقع أن أبا العلاء المعرى ينفرد بشخصية شعرية متميزة تجعل منه شاعراً عديم المثال في زمانه.

وكانت أولى المشكلات التي شغلت أبا العلاء وأرقت ليله هي مشكلة وجوده في هذه الحياة. ذلك الوجود الذي لم يكن له فيه أي اختيار، لذلك فقد حرص أشد الحرص على ألا يوقع الجناية التي وقعت عليه بأحد من الناس:

تواصـــل حبـــل النســـل مـــا بـــين آدم
وبينـــي، ولـــم يوصـــل بلامـــي بـــاء
تثـــاءب عمـــرو إذ تثـــاءب خالـــد
بعـــدوى، فمـــا اعـــدتني الثوبـــاء

وقد امتنع المعرى عن الزواج حتى لا يكون له نسل لاعتقاده أن الوالدين إنما يجنيان على أبنائهما حتى ولو أصبحوا من الحكام العظماء:

علـــى الولـــد يجنـــي والـــد ولـــو أنهـــم
ولاة علـــــى أمصـــــارهم خطبـــــاء

وقد نحى أبو العلاء المعرى هذا المنحى في حياته الخاصة لأنه كان من المتشائمين الذين لا يرون في وجود الإنسان على هذه الأرض أمراً يغبط عليه، ولذلك حظيت الدنيا وأهلها بكثير من سخطه واحتقاره:

خَسِســت يــا أمَّنــا الــدنيا فــأفٍّ لنــا
بنـــو الخسيســـة أوبـــاش أخســـاء

وقــد نطقــت بأنصــاف العظــات لنــا

وأنــت فيمــا يظــن القــوم خرســاء

وهو يهجو الدنيا لأنها متقلبة قاسية، ويحمل على أهلها لأن رياح الأهواء هي التي تسيرهم:

يمـــوج بحـــرك الأهـــواء غالبـــة

لراكبيـــه فهـــل للســـفن أرســـاء

إذا تعطفـــت يومـــا كنـــت قاســـية

وإن نظـــرت بعـــين فهـــي شوســـاء

والدنيا لا تصفو لأحد، وهي تتغذى ببنيها وكأنها تسترد منهم ما غذتهم به وهم أحياء:

مــن صــفة الــدنيا التــي أجمــع النــا

س عليهـــا أنهـــا مـــا صـــفت

كــم عفــة مــا عــف عنهــا الــردى

وكـــم ديـــار لأنـــاس عفـــت

والأرض غـــــذتنا بألطافهـــــا

ثـــم تغـــذتنا فهـــل أنصـــفت؟!

والناس مهما حسنت مظاهرهم عند أبي العلاء فإن دخائلهم تخالف هذه المظاهر. ولذلك فهم لا يروقون له وهو يفضل على أفضلهم صخرة صماء لا تظلم أحداً ولا تكذب على أحد كما يفعل الإنسان :

يحســـن مـــرأى لبنـــي آدم

وكلهـــم فـــي الـــذوق لا يعـــذب

مـــا منهمـــو بـــر ولا ناســـك

إلا إلـــى نفـــع لـــه يجـــذب

أفضـــل مـــن أفضـــلهم صـــخرة

لا تظلـــــم النـــــاس ولا تكـــــذب

ونتيجة لرأي أبي العلاء في الدنيا وأهلها فإننا نراه في كثير من الأحيان يتمنى الموت ويحبذه:

متـــى أنـــا فـــي هـــذا التـــراب مغيـــب

فأصـــبح لا يجنـــى علـــي ولا أجنـــي

وكان يسخر من الذين يرهبون الموت، ويتهمهم في فطنتهم لأنهم لا يدركون أن الموت إنما هو الوسيلة الوحيدة التي تؤمنهم شر الدهر:

لا يرهـب المـوت مـن كـان امـرأ فطنـا

فـــــإن العـــــيش أرزاء وأحـــــداثا

ولـــيس يـــأمن قـــوم شـــر دهرهمـــو

حتـــى يحلـــوا بـــبطن الأرض أجـــداثا

أما طول البقاء الذي يتمناه الجهلة الأغرار ويطمحون إليه فلم يمنحه الله سبحانه وتعالى إلا لشر خلقه إبليس:

فـــالله مـــا اختـــار البقـــاء وطولـــه

إلا لشـــــر عبـــــاده إبليســـــا

ولم يكن تشاؤم أبي العلاء وموقفه هذا من الدنيا وأهلها، يعني أنه رجل سلبي لا يهتم بشئون الناس ولا يكترث بمشكلاتهم، أو أنه يقف منها موقفاً هروبياً... لقد كان الأمر على النقيض من ذلك تماماً.

فقد رأى المعرى أنه – بحكم وجوده على هذه الأرض – عضو في الهيئة الاجتماعية، وأن لهذه الهيئة عليه حقاً ينبغي أن يؤديه. ولذلك فقد دعا إلى العدالة في الحكم والمساواة بين الناس وحمل على الظلم وغيره من النقائض البشرية، وحث على الكرم ودعا إلى الرفق بالحيوان وغير ذلك من طرائق السلوك الإنساني النبيل.

ولقد كان أبو العلاء المعرى أول شاعر عربي فهم وظيفة الحاكم على حقيقتها وكما ينبغي أن تكون. فهو يرى أن الحكام ليسوا إلا أجراء اتخذتهم شعوبهم للقيام على صالحها. ولكنهم مع الأسف الشديد ظلموا رعاياهم وتعدوا الغاية التي اختارتهم من أجلها فأجازوا لأنفسهم الكيد لها والعمل في غير مصلحتها، مما جعل أبا العلاء يمل المقام بينهم ويتمنى الموت للخلاص من معاشرتهم أو العيش في ظلالهم:

مـــل المقـــام فكـــم أعاشـــر أمـــة
أمـــرت بغيـــر صـــلاحها أمراؤهـــا

ظلمـــوا الرعيـــة واســـتجازوا كيـــدها
فعـــدوا مصـــالحها وهـــم أجراؤهـــا

ويقول أيضاً:

يَسوســـونَ الأمـــورَ بغيـــرِ عقـــلٍ
فيَنفُـــذُ أمـــرُهُم ويقـــالُ ساسَـــة

فـــأُفَّ مـــن الحيـــاة وأُفَّ منـــي
ومـــن زمـــنٍ رئاســـتُهُ خساســـة

والمذاهب السياسية في رأيه ليست إلا وسائل للوصول إلى الحكم وليس خير الناس ورفاهيتهم هو ما تقصده أو ترمي إليه:

إنمـــا هـــذه المـــذاهب أســـبا
ب لجـــذب الـــدنيا إلـــى الرؤســـاء

غـــرض القـــوم لا يرِقّـــو
ن لـــدمع الشـــيماء والخنســـاء

كالـــذي قـــام يجمـــع الـــزنج بالبصـــ
رة والقرمطـــى بالإحســـاء

وكثيرا ما حذر أبو العلاء من الظلم، وحمل على الظالمين ونبه على أن دعاء المظلومين مستجاب:

واحـــذر دعـــاء ظلـــيم فـــي نعامتـــه
فـــرب دعـــوة داع تخـــرق الحجبـــا

المعرى لا يسره أن يظلم أحداً حتى ولو كوفىء على ظلمه بالخلود في النعيم:

ومـــا ســـرني أنـــي أصـــبت معاشـــراً
بظلـــم وأنـــي فـــي النعـــيم مخلـــد

وقد كره هذا الشاعر أن يقع الظلم حتى على الحيوان والطير ودعا إلى الرفق بها قبل أن يعرف المعاصرون جميعاً الرفق بالحيوان بعشرة قرون:

لقـــد رابنـــي مغـــدي الفقيـــر بجهلـــه
علـــى العيـــر ضـــرباً ســـاء مـــا يتقلـــد
يحملـــه مـــالاً يطيـــق فـــان ونـــى
أحـــال علـــى ذي فتـــرة يتجلـــد

ولأبي العلاء قصيدة في الديك تعتبر من أجمل ما قيل في الشعر العربي في هذا الطائر الجميل حتى الآن. وفيها يخاطب الديك:

ولـو كنـت لـي مـا أرهفـت لـك مديـة
ولا رام إفطـــــاراً بأكلـــــك صـــــائم
ولـــم يغـــل مـــاء كـــي تمـــزق حلـــة
حبتـــك بأســـنانها العصـــور القـــدائم
ولاقيـت عنـدي الخيـر تحسـب عـيلا
ينافيـــك قـــول ســـيء وشـــتائم
فـــإن كتـــب الله الجـــرائم ســـاخطاً
علـى الخلـق لـم تكتـب عليـك الجـرائم

وانطلاقاً من الرفق والرأفة التي امتلأت بها نفس أبي العلاء؛ نراه يدعو إلى الامتناع عن أكل جميع أصناف الحيوان، البري منها والبحري. ويدعو كذلك إلى عدم الإقدام على اغتصاب بيض الطيور وفراخها وشهد النحل. ولعله كان متأثراً في دعوته هذه بمسلك بعض أصحاب ديانات أهل الهند الذين يحرمون على أنفسهم أكل كل ذي روح ويكتفون في حياتهم بالتغذي على النباتات. يقول أبو العلاء:

فــلا تــأكلن مــا أخــرج المــاء ظالمــاً
ولا تبــغ قوتــاً مــن غــريض الــذبائح

وأبـــيض أُمّـــات أرادت صـــريحه
لأطفالهـــا دون الغـــواني الصـــرائح

ولا تفجعـــن الطيـــر وهـــي غوافـــل
بمــا وضــعت فــالظلم شــر القبــائح

ودع ضــرب النحــل الــذي بكــرت لــه
كواســب مــن أزهــار نبــت فــوائح

فمــا أحرزتــه كــي يكــون لغيرهــا
ولا جمعتـــه للنـــدى والمنـــائح

مســحت يــدي مــن كــل هــذا فليتتــي
أبهــت لشــأني قبــل شــيب المســائح

ولم يكن الظلم هو النقيصة الوحيدة التي حمل عليها أبو العلاء وانحى باللائمة على مقترفيها. فقد كان يؤلمه أشد الألم أن يفقد الصدق، وأن يموت الهدى والفالح، وأن يندر الإخلاص ويقل الوفاء، وأن يستحسن الناس الغدر وغيره من الموبقات:

قــد فقــد الصــدق ومــات الهــدى
واستحســن الغــدر وقــل الوفــاء

ويقول:

تعـــــالى رازق الأحيـــــاء طـــــرا

لقـــد وهـــت المـــروءة والحيـــاء

ولم أعرف فيمن عرفت من الشعراء شاعراً عربياً حمل على الخمر مثلما فعل أبو العلاء. فقد رأى هذا الشاعر في الخمر أم الكبائر ومجمع الرذائل، فحاربها وامتنع عن تعاطيها ودعا إلى هجرها وحذر من عواقبها الوخيمة، ورأى فيها معولاً من معاول الهدم التي ممعنة في صرح المجتمع بلا هوادة أو رحمة. وربما جرت على المجتمع من الشؤم ما لم تجره ناقة البسوس على بكر وتغلب من الويلات:

إيـــاك والخمـــر فهـــي خالبـــة غالبـــة خـــاب ذلـــك الغلـــب

خابيـــة الـــراح ناقـــة حفلـــت لـــيس لهـــا غيـــر باطـــل حلـــب

أشـــأم مـــن ناقـــة البســـوس علـــى النـــاس وأن نيـــل عنـــدها الطلـــب

ومهما يكن من أمر الخمر وما تجلبه لشاربها من متعة موقوتة أو لذة عابرة فإنها باب كل بلاء ومفتتح كل شر:

البابليـــة بـــاب كـــل بليـــة فتـــوقين هجـــوم ذاك البـــاب

جـــرت ملاحـــاة الصـــديق وهجـــره وأذى النـــديم وفرقـــة الأحبـــاب

واختلال المقاييس وتسويد الناس للغنى الذي له من مؤهل يستحق أن يسود من أجله سوى الغنى أمر يؤلم نفس أبي العلاء:

كـــن مـــن تشـــاء مهجنـــاً أو خالصـــا وإذا رزقـــت غنـــى فأنـــت الســـيد

وقد حمل أبو العلاء بشدة على مبدأ تعدد الزوجات لاقتناعه بعجز الرجل عن تحقيق العدالة وتوخي سبيل الحق. ولهذا فهو يحمل الزوج الذي قد بنى بأربع زوجات مسئولية انحراف إحدى زوجاته:

تـــزوج بعـــد واحـــدة ثلاثـــاً وقـــال لعرســـه يكفيـــك رُبعـــى

فيرضـــــيها إذا قنعـــــت بقـــــوت ويرجمهـــــا إذا مالـــــت لتبـــــع
ومـــن جمـــع اثنتـــين فمـــا تـــوخى ســـبيل الحـــق فـــي خمـــس وربـــع

ولأبي العلاء رأي غريب في المرأة. فهو لا يثق بها ويعدها منجم الفتنة ومنبت الإغواء. ويرى أنه يجب أن يكتفي بتعليمها الغزل والنسج بدلاً من القراءة والكتابة:

علمـــوهن الغـــزل والنســـج والـــرد ن وخلـــــوا كتابـــــة وقـــــراءة
فصـــــلاة الفتـــــاة بالحمـــــد والإخـــــ لاص تجـــزي عـــن يـــونس وبـــراءة
تهتـــك الســـتر بـــالجلوس أمـــا الســـ تـــــر إن غنـــــت القيـــــان وراءه

وأبو العلاء يدعو إلى النفع الإنساني والتعاون البشري في جميع الحالات:

فـانفع أخـاك علـى ضـعف تحـس بـه إن النســـيم بنفـــع الـــروح هبـــاب

والنفع ينبغي أن يكون رائد العلم وإلا فالويل للعلماء والخسران لعلمهم الذي لا ينفع:

إذا كـــان علـــم النـــاس لـــيس بنـــافع ولا دافـــــع فالخســـــر للعلمـــــاء

والكرم الحقيقي عند أبي العلاء ليس هو المقصور على الأقرباء والأصدقاء:

ومـــن جعـــل الســـخاء لأقربيـــه فلـــيس بعـــارف طـــرق الســـخاء

والكريم الحق هو من لا ينظر شزراً إلى الطفيلي الذي يؤم مائدته دون ما دعوة وجهت إليه. بل هو من يحبوه بالتهليل والترحيب لينفي عنه ما قد يداخله من الوحشة أو الإحساس بشيء من الرزاية والمهانة:

إن كنـــت صـــاحب إخـــوان مائـــدة فأحـــب الطفيلـــي تـــأهيلا وترحيبـــا
لا تلقينـــــه بتعبـــــيس لتوحشـــــه فـــالزاد يفنـــى ولا يبقـــى الأصـــاحيبا

وقد كره أبو العلاء أن يكون فعل المرء مغايراً لقوله، واعتبر مغايرة القول للعمل إساءة مضاعفة من صاحبها:

إذا فعـــل الفتـــى مـــا عنـــه ينهـــي فمـــن جهتـــين، لا جهـــة، أســـاء

والناس في نظره متساوون لا فرق بين ابن الحرة منهم وابن الأمة:

وســـــيّان مَـــــنْ أمُّـــــه حـــــرة حَصـــــانٌ، ومَـــــن أمُـــــهُ فرتنَـــــى

لذلك فلا موجب للمدح حتى ولو كان صدقاً:

وازهـد فـي مـدح الفتـى عنـد صـدقه فكيـف قبـولي كاذبـات المـدائح

أما التملق فأمر مذموم، ومن اللؤم أن يقبله إنسان يحترم إنسانيته ويقدرها:

إذا أثنـــى علـــيّ المـــرء يومـــاً بخيـــر لـــيس فـــيّ فـــذاك هـــاجٍ
وحقـــي إن أســـاء بمـــا إفتـــراه فلـــؤم مـــن عزيزتـــي ابتهـــاجي

وأفضل ساعات العمر عند أبي العلاء هي تلك التي تمر دون أن يقع فيها شيء من الشر وتتيح له الفرصة للاستمتاع بصحبة صديق جديد:

مـــن أحســـن الـــدهر ســـاعة ســـلمت مـــن الشـــرور وفيهـــا صـــاحب حـــدث

وهو من المؤمنين بالعقل الإنساني إيماناً مطلقاً ويرى فيه خير عاصم للأنسانية من الانحراف:

يرتجـــي النـــاس أن يقـــوم إمـــام نـــاطق فـــي الكتيبـــة الخرســـاء
كـــذب الظـــن لا إمـــام ســـوى العقـــل مشـــيراً فـــي صـــحبه والمســـاء
فـــإذا مـــا أطعتـــه جلـــب الرحمـــة عنـــد المســـير والإرســـاء

أما موقفه من الروح فإنه لا يستطيع أن يقطع فيه برأي:

أن يصـحب الـروح عقلـي بعـد مظعنهـا للمـوت عنـي فأجـدر أن تـرى عجبـا
وإن مضـت فـي الهـواء الرحـب هالكـة هـلاك جسـمي فـي تربـى فواشـجبا

وأبو العلاء مؤمن بعد هذا كله بالله ووجوده إيماناً لا يخامره شك ولا يزعزعه مزعزع:

الله لا ريـــب فيـــه وهـــو محتجـــب بـــاد وكـــل إلـــى طبـــع لـــه جـــذبا
ســـــألتموني فـــــأعيتني أجـــــابتكم مـــن ادعـــى أنـــه دار فقـــد كـــذبا

ثامناً: مواقف من حياتهم

مجلة النهضة، العدد 927، السنة 19، أغسطس 1985. مجلة النهضة الكويتية أسبوعية سياسية شاملة، صدرت عن دار الرأي العام للصحافة والطباعة والنشر. الموضوع: عاقني الحاج أمين الحسيني فتركت العمل وحصلت على الدكتوراه – زاوية مواقف من حياتهم سهام عبدالهادي، صفحة 63، بقلم د. رجا سمرين.

د. رجا سمرين

عاقبني الحاج أمين الحسيني فتركت العمل وحصلت على الدكتوراه

في حياتي كثير من المواقف الحاسمة التي كان لها أثرها الذي لا ينكر على مسيرة هذه الحياة... وسأكتفي بذكر موقف واحد كان له الأثر الأكبر في حياتي..

كان ذلك في أواخر عام 1948 حين كنت شاباً يافعاً في ربيعي التاسع عشر، وكنت أعمل طبَّاعاً على الآلة الكاتبة في الهيئة العربية العليا لفلسطين في القاهرة. وكان المرحوم سماحة الحاج أمين الحسيني رئيساً للهيئة وقائداً للثورة الفلسطينية آنذاك. وكانت الهزائم تتوالى على الأمة العربية وجيوشها السبعة، ولم يكن الحال بأفضل من ذلك بالنسبة لقوات الثورة الفلسطينية...

وفي ذات يوم وبينما كنت أتبادل الحديث مع بعض زملائي الموظفين في الهيئة العليا حول آخر الأخبار الواردة من فلسطين وكان المفتي في ذلك اليوم موجوداً في دمشق.. قلت معلقاً على آخر الأحداث: أعتقد أن مسيرة الثورة بحاجة إلى تصحيح، وأن نقطة البداية في ذلك ينبغي أن تتمثل في نظري بدخول سماحة المفتي إلى فلسطين، وخاصة بعد جلاء الإنجليز عن أراضيها، ولم يعد من المنطقي ولا من المقبول أن يستمر المفتي في قيادة الثورة وتوجيه مسيرتها من العواصم العربية وهو بعيد عن أرض المعركة.

وقد بينت الأثر النفسي العظيم الذي سيتركه دخول المفتي في نفوس أبناء شعبه والتحول الإيجابي الذي سيحدثه في مسيرة الثورة، وقد تطوع ثلاثة من زملائي الذين استمعوا إلى رأيي هذا بكتابة عريضة رفعوها إلى سكرتير المفتي وزوج ابنته الأستاذ حيدر الحسيني. وقد استدعاني الأستاذ حيدر – وكان أحد الأساتذة الذين تتلمذت عليهم في كلية روضة المعارف الوطنية في القدس– وعاتبني بشدة على ما أسماه تهجماً على سياسة المفتي ونقداً لاذعاً لقيادته الحكيمة التي لا يمكن لشاب غر مثلي أن يلم بأبعادها.

وقد شرحت حقيقة الأمر للأستاذ حيدر، فما كان منه إلا أن قال: "على أي حال سنترك لسماحة المفتي ليقول كلمته في هذه القضية."

وعاد سماحة المفتي من دمشق وحدثوه عن جرأة ووقاحة هذا الشاب الذي لم يتورع عن توجيه النقد لسياسة سماحته، فلم يكن منه إلا أن أمر بتسريحي من عملي.

ووقع الخبر على والدي –رحمه الله– وكان المرافق الخاص لسماحة المفتي منذ عام 1936– وقوع الصاعقة، وعنّفني بصورة لم أعهدها منه من قبل، وكانت خيبته بولده وتصرفه الأرعن بحجم حبه وإخلاصه للحاج أمين، فقد كانت ذات المفتي في نظره، ونظر معظم أبناء جيله مقدسة لا تمس...

وحاول والدي جاهداً أن يقنعني بالبحث عن عمل جديد، ولكني رفضت ذلك وأبلغته بإصراري على مواصلة تعليمي، ووقفت من هذا الموضوع موقفاً حاسماً على الرغم من معارضة الوالد الذي كان يرى أن من الحماقة إضاعة مرتب قدره عشرة جنيهات في ذلك الزمن.

ولكني صممت على موقفي والتحقت بجامعة الأزهر وتخرجت من كلية اللغة العربية وواصلت دراستي فيها حتى حصلت على درجة الدكتوراه. ولولا هذا الموقف الحاسم لكنت الآن طبَّاعاً على الآلة الكاتبة في مؤسسة من المؤسسات.

تاسعاً: العرب وانتظار التغيير

مجلة مرآة الأمة الكويتية، زاوية: الرأي الحر، صفحة 98، العدد 639، إبريل 1984. بقلم الدكتور رجا سمرين.

الرأي الحر

العرب وانتظار التغيير

بقلم الدكتور رجا سمرين

منذ ان بدات هذه الامة تعيش حالة انعدام الوزن في المجال الدولي ، ومنذ ان فقدت قدرتها على التاثير ، وهي تعيش مرحلة انتظار طويل ممض تتمنى ان يحمل لها في يوم ما عصا سحرية يمسك بها حاو من حواة السياسة الافذاذ ويلوح بها ذات اليمين وذات اليسار فيحل لها مشكلاتها المزمنة وقضاياها المستعصية .

والامة العربية تعيش هذا الانتظار – واعني به انتظار التغيير – في الوقت الذي قد اسقطت من حسابها وضع اية خطة استراتيجية تمكنها من تحقيق ما تتمناه من تغيير وما تسعى اليه من حلول .

لقد بلغ اليأس بهذه الامة ، وفقدان الثقة بنفسها وقدراتها حدا جعلها تنتظر التغيير في كل شيء الا نفسها ، وكأنى بها قد رضيت عن حالها ، واطمأنت الى ما هي عليه وآمنت بالبدا القائل : ليس في الامكان ابدع مما كان .

انها تنتظر التغيير في قوانين القوى الدولية ، وهي تنتظره في البيت الابيض كل اربعة اعوام ، حيث تحمل اليه رياح الانتخابات الامريكية الهوجاء رئيسا جديدا يتفوق على كل من سبقوه في نصرة باطل الصهيونية والكيد لاصدقائه العرب الحميمين .

وعلى الرغم من تكرار هذه المهزلة كل اربعة اعوام فان العرب ما زالوا يراهنون على هذا الحصان الخاسر . انهم الان في انتظار واحد من هؤلاء الفرسان ريغان او مونديل او هارت .

وهنالك فريق في الامة العربية يضع امانه كلها في ذلك التغيير الذي يحدث بغير انتظام في الكرملين كلما قضى نحبه زعيم من زعمائه .. وهذا الفريق يقبع في محاريبه السياسية وهو يجار بالدعوات ان يلهم الله السوفييت اختيار زعيم يكون لديه الاستعداد للحرب من اجل العرب اكثر من العرب انفسهم .

وقد يهون ذلك كله امام مرحلة الانتظار التي يعيشها العرب في هذه الايام .. انهم ينتظرون الان ذلك التغيير الذي قد يحدث داخل جدران الدولة الصهيونية نفسها . انهم يراهنون الان على حصان خاسر جديد اسمه حزب العمل يمتطيه فيما يزعمون فارس لم يكن في يوم ما جنرالا من جنرالات اسرائيل اسمه شمعون بيريز .

انهم يراهنون عليه متناسين ما فعلته بهم سنابكه منذ ولادة دولة العدوان وحتى عام ١٩٧٣ . لقد بلغ بهم الامل حدا جعلهم ينتظرون ان يعيد لهم شمعون بيريز ما تبقى من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبادار ما دخلك شر .

شيء واحد ينبغي ان تنتظروه ايها العرب وتراهنوا عليه .. انه التغيير المتعلق بكم انتم لان الله جلت قدرته لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . فهل انتم فاعلون ؟!

٩٨ – مرآة الأمة – ٦٣٩

منذ أن بدأت هذه الأمة تعيش حالة انعدام الوزن في المجال الدولي، ومنذ أن فقدت قدرتها على التأثير، وهي تعيش مرحلة انتظار طويل ممض تتمنى أن يحمل لها في يوم ما عصا سحرية يمسك بها حاو من حواة السياسة الأفذاذ ويلوح بها ذات اليمين وذات اليسار فيحل لها مشكلاتها المزمنة وقضاياها المستعصية.

والأمة العربية تعيش هذا الانتظار– وأعني به انتظار التغيير– في الوقت الذي أسقطت من حسابها وضع أية خطة استراتيجية تمكنها من تحقيق ما تتمناه من تغيير وما تسعى إليه من حلول.

لقد بلغ اليأس بهذه الأمة، وفقدان الثقة بنفسها وقدراتها حدًّا جعلها تنتظر التغيير في كل شيء إلا نفسها، وكأني بها قد رضيت عن حالها، واطمأنت إلى ما هي عليه وآمنت بالمبدأ القائل: ليس في الإمكان أبدع مما كان.

إنها تنتظر التغيير في موازين القوى الدولية، وهي تنتظره في البيت الأبيض كل أربعة أعوام، حيث تحمل إليه رياح الانتخابات الأمريكية الهوجاء رئيساً جديداً يتفوق على كل من سبقوه في نصرة باطل الصهيونية والكيد لأصدقائه العرب الحميمين.

وعلى الرغم من تكرار هذه المهزلة كل أربعة أعوام فإن العرب ما زالوا يراهنون على هذا الحصان الخاسر. إنهم الآن في انتظار واحد من هؤلاء الفرسان ريغان أو مونديل أو هارت.

وهنالك فريق في الأمة العربية يضع آماله كلها في ذلك التغيير الذي يحدث بغير انتظام في الكرملين كلما قضى نحبه زعيم من زعمائه.. وهذا الفريق يقبع في محاريبه السياسة وهو يجأر بالدعوات أن يلهم الله السوفييت اختيار زعيم يكون لديه الاستعداد للحرب من أجل العرب أكثر من العرب أنفسهم.

وقد يهون ذلك كله أمام مرحلة الانتظار التي يعيشها العرب في هذه الأيام.. إنهم ينتظرون الآن ذلك التغيير الذي قد يحدث داخل جدران الدولة الصهيونية نفسها. إنهم يراهنون الآن على حصان خاسر جديد اسمه حزب العمل يمتطيه فيما يزعمون فارس لم يكن في يوم ما جنرالاً من جنرالات إسرائيل اسمه شمعون بيريز.

إنهم يراهنون عليه متناسين ما فعلته بهم سنابكة منذ ولادة دولة العدوان وحتى عام 1973، لقد بلغ بهم الأمل حدًّا جعلهم ينتظرون أن يعيد لهم شمعون بيريز ما تبقى من الضفة الغربية وقطاع غزة، ويا يدا ما دخلك شر.

شيء واحد ينبغي أن تنتظروه أيها العرب وتراهنوا عليه.. إنه التغيير المتعلق بكم أنتم لأن الله جلت قدرته لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. فهل أنتم فاعلون؟!

عاشراً: طريق الخلاص

مجلة مرآة الأمة الكويتية، زاوية: الرأي الحر، صفحة 98، العدد 642، مايو 1984. بقلم الدكتور رجا سمرين.

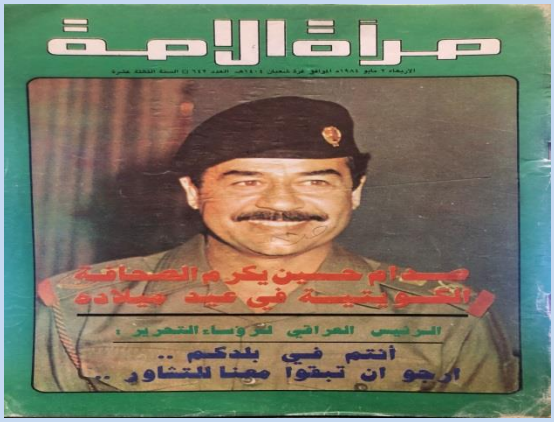

الرأي الحر

طريق الخلاص !

بقلم الدكتور رجا سمرين

واهم من يدعي من المعلقين والمحللين ان في استطاعته التوصل الى معرفة حقيقة ما يجري على الساحة العربية من المحيط الساكن الطيب . الى الخليج الهادىء الوديع . وعلى الرغم من ذلك فان هذا السيل العرم من التعليقات والتحليلات . لا يزال يملأ اعمدة الصحف والمجلات ممهورا بتوقيعات اصحابه الذين يعتقدون انهم قد توصلوا الى ما لم يتوصل اليه سواهم . وانهم قد اصابوا كبد الحقيقة . واصموا فؤاد الباطل بسهام وعيهم الثاقب . ورماح ذكائهم الوقاد .

وقد بلغ الامر ببعض هؤلاء انهم قد ظنوا – وبعض الظن اثم – ان من حقهم ان ينظروا لهذه الامة المنكوبة . ويخططوا لحل مشكلاتها المستعصية . ويرسموا لها طريق الخلاص .

لقد فات هؤلاء المنظرين ان ممارسة مهنة الطب انما هي وقف على الاطباء . وانه لا يجوز لاي انسان ان يتصدى لعلاج اجسام الناس اذا لم يكن مؤهلا بالعلم والخبرة والممارسة . فما بالهم يتصدرون لعلاج الامة من امراضها المزمنة . وهم يفتقرون الى ابسط ما يفتقر اليه الاطباء ؟!

ترى هل تعرف هؤلاء المنظرون على الاسباب التي ادت الى اصابة الامة بهذه الامراض ؟!

هل قرأ هؤلاء التاريخ ؟! وهل هم مؤمنون حقا بوحدة هذه الامة الممزقة في وقتنا هذا الى شعوب ؟ وهل ادركوا ان الفترات التاريخية التي كان لهذه الامة في اثنائها شان يذكر انما هي تلك الفترات التي كانت تحتفظ فيها باصالتها وشخصيتها وعقيدتها وقيمها وثقافتها ؟ وهل عرفوا انها في تلك الحقب لم تكن تعتمد على احد في تامين القوة والغذاء والكساء ؟! وهل عرفوا انها عندما بدات في التخلي عن كل ذلك ضلت الطريق . ووقعت في الشرك الذي نصبه لها اعداؤها ؟ ولم تلبث ان اصبحت امة مستضعفة تتخطفها الشعوب من كل جانب وتتداعى عليها الامم كما تتداعى الاكلة الى قصعتها .

ايها السادة المحللون . وبايها العباقرة المنظرون رفقا بانفسكم . ورحمة بعقول الناس واعصاب الجماهير . في اليوم الذي تتسلح فيه جيوشكم بسلاح تصنعه اياد عربية . وتمتلىء فيه بطونكم بغذاء عربي . وتتدثر فيه اجسادكم بثياب تنسجه انامل عربية . وترون كل مظهر من مظاهر الحياة في مدنكم وقراكم وحواضركم وباديكم مطبوعا بطابع العروبة ومصطبغا بصبغة الاسلام . في ذلك اليوم فقط يصبح من حقكم ان تطلعوا علينا بتحليلاتكم وتعليقاتكم وتنظيراتكم لانها ستكون نابعة من ذواتكم . وليست منعكسة عن مرايا المذاهب الخادعة المستوردة والتخبط الفكري الذي وضعه فلاسفة الماسونية والصليبية والصهيونية تحت عناوين براقة خادعة اطلقوا عليها اسم فلسفات .

واهمٌ مَنْ يدّعي من المعلقين والمحللين أن في استطاعته التوصل إلى معرفة حقيقة ما يجري على الساحة العربية من المحيط الساكن الطيب، إلى الخليج الهادىء الوديع. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا السيل العرم من التعليقات والتحليلات لا يزال يملأ أعمدة الصحف والمجلات ممهوراً بتوقيعات أصحابه الذين يعتقدون أنهم قد توصلوا إلى ما لم يتوصل إليه سواهم. وأنهم قد أصابوا كبد الحقيقة، وأصموا فؤاد الباطل بسهام وعيهم الثاقب، ورماح ذكائهم الوقاد.

وقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء أنهم قد ظنوا –وبعض الظن إثم– أن من حقهم أن ينظروا لهذه الأمة المنكوبة، ويخططوا لحل مشكلاتها المستعصية، ويرسموا لها طريق الخلاص.

لقد فات هؤلاء المنظّرين أن ممارسة مهنة الطب إنما هي وقف على الأطباء، وأنه لا يجوز لأي إنسان أن يتصدى لعلاج أجسام الناس إذا لم يكن مؤهلاً بالعلم والخبرة والممارسة، فما بالهم يتصدرون لعلاج الأمة من أمراضها المزمنة، وهم يفتقرون إلى أبسط ما يفتقر إليه الأطباء؟!

ترى هل تعرف هؤلاء المنظرون على الأسباب التي أدت إلى إصابة الأمة بهذه الأمراض؟! هل قرأ هؤلاء التاريخ؟! وهل هم يؤمنون حقاً بوحدة هذه الأمة الممزقة في وقتنا هذا إلى شعوب؟ وهل أدركوا أن الفترات التاريخية التي كان لهذه الأمة في أثنائها شأن يذكر إنما هي تلك الفترات التي كانت تحتفظ فيها بأصالتها وشخصيتها وعقيدتها وقيمها وثقافتها؟ وهل عرفوا أنها في تلك الحقب لم تكن تعتمد على أحد في تأمين القوة والغذاء والكساء؟! وهل عرفوا أنها عندما بدأت في التخلي عن كل ذلك ضلت الطريق، ووقعت في الشرك الذي نصبه لها أعداؤها؟ ولم تلبث أن أصبحت أمة مستضعفة تتخطفها الشعوب من كل جانب وتتداعى عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

أيها السادة المحللون، ويأيها العباقرة المنظرون رفقاً بأنفسكم، ورحمة بعقول الناس وأعصاب الجماهير. في اليوم الذي تتسلح فيه جيوشكم بسلاح تصنعه أياد عربية، وتمتلىء فيه بطونكم بغذاء عربي، وتتدثر فيه أجسادكم بثياب تنسجه أنامل عربية، وترون كل مظهر من مظاهر الحياة في مدنكم وقراكم وحواضركم وباديكم مطبوعاً بطابع العروبة ومصطبغاً بصيغة الإسلام، في ذلك اليوم فقط يصبح من حقكم أن تطلعوا علينا بتحليلاتكم وتعليقاتكم وتنظيراتكم لأنها ستكون نابعة من

ذواتكم، وليست منعكسة عن مرايا المذاهب الخادعة المستوردة والتخبط الفكري الذي وضعه فلاسفة الماسونية والصليبية والصهيونية تحت عناوين براقة خادعة أطلقوا عليها اسم فلسفات.

أحد عشر: ومن الأحلام ما يتحقق

نشرت هذه المقالة إحدى المجلات ضمن زاوية (مساحة للبوح) بعنوان (ومن الأحلام ما يتحقق) للدكتور رجا سمرين.

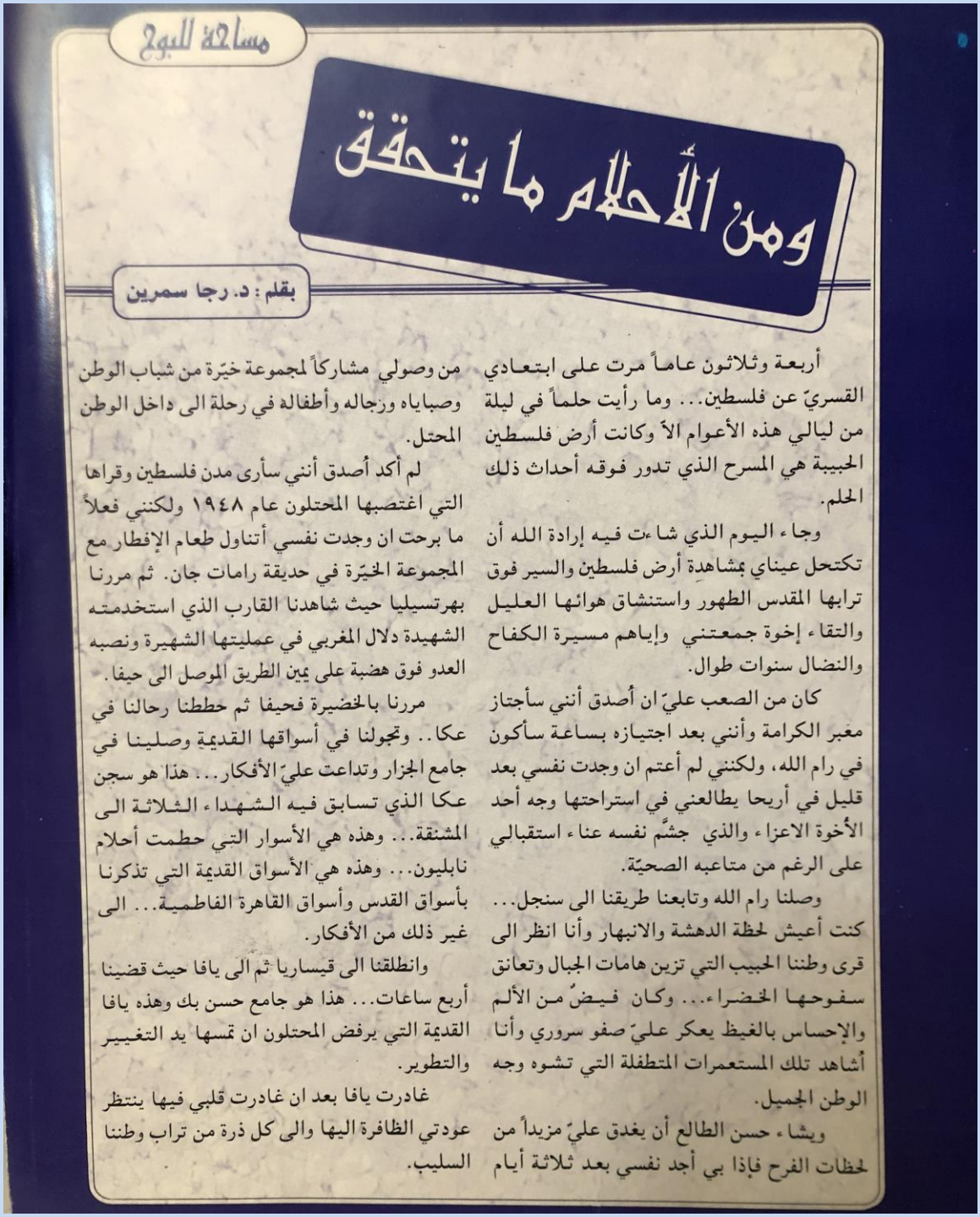

مساحة للبوح

ومن الأحلام ما يتحقق

بقلم : د. رجا سمرين

أربعة وثلاثون عاماً مرت على ابتعادي القسريّ عن فلسطين... وما رأيت حلماً في ليلة من ليالي هذه الأعوام الأ وكانت أرض فلسطين الحبيبة هي المسرح الذي تدور فوقه أحداث ذلك الحلم.

وجاء اليوم الذي شاءت فيه إرادة الله أن تكتحل عيناي بمشاهدة أرض فلسطين والسير فوق ترابها المقدس الطهور واستنشاق هوائها العليل والتقاء إخوة جمعتني وإياهم مسيرة الكفاح والنضال سنوات طوال.

كان من الصعب عليّ ان أصدق أنني سأجتاز معبر الكرامة وأنني بعد اجتيازه بساعة سأكون في رام الله، ولكنني لم أعتم ان وجدت نفسي بعد قليل في أريحا يطالعني في استراحتها وجه أحد الأخوة الاعزاء والذي جشَّم نفسه عناء استقبالي على الرغم من متاعبه الصحيّة.

وصلنا رام الله وتابعنا طريقنا الى سنجل... كنت أعيش لحظة الدهشة والانبهار وأنا انظر الى قرى وطننا الحبيب التي تزين هامات الجبال وتعانق سفوحها الخضراء... وكان فيضٌ من الألم والإحساس بالغيظ يعكر عليّ صفو سروري وأنا أشاهد تلك المستعمرات المتطفلة التي تشوه وجه الوطن الجميل.

ويشاء حسن الطالع أن يغدق عليّ مزيداً من لحظات الفرح فإذا بي أجد نفسي بعد ثلاثة أيام من وصولي مشاركاً لمجموعة خيّرة من شباب الوطن وصباياه ورجاله وأطفاله في رحلة الى داخل الوطن المحتل.

لم أكد أصدق أنني سأرى مدن فلسطين وقراها التي اغتصبها المحتلون عام ١٩٤٨ ولكنني فعلاً ما برحت ان وجدت نفسي أتناول طعام الإفطار مع المجموعة الخيّرة في حديقة رامات جان. ثم مررنا بهرتسيليا حيث شاهدنا القارب الذي استخدمته الشهيدة دلال المغربي في عمليتها الشهيرة ونصبه العدو فوق هضبة على يمين الطريق الموصل الى حيفا.

مررنا بالخضيرة فحيفا ثم حططنا رحالنا في عكا.. وتجولنا في أسواقها القديمة وصلينا في جامع الجزار وتداعت عليّ الأفكار... هذا هو سجن عكا الذي تسابق فيه الشهداء الثلاثة الى المشنقة... وهذه هي الأسوار التي حطمت أحلام نابليون... وهذه هي الأسواق القديمة التي تذكرنا بأسواق القدس وأسواق القاهرة الفاطمية... الى غير ذلك من الأفكار.

وانطلقنا الى قيساريا ثم الى يافا حيث قضينا أربع ساعات... هذا هو جامع حسن بك وهذه يافا القديمة التي يرفض المحتلون ان تمسها يد التغيير والتطوير.

غادرت يافا بعد ان غادرت قلبي فيها ينتظر عودتي الظافرة اليها والى كل ذرة من تراب وطننا السليب.

أربعة وثلاثون عاماً مرت على ابتعادي القسري عن فلسطين... وما رأيت حلماً في ليلة من ليالي هذه الأعوام إلا وكانت أرض فلسطين الحبيبة هي المسرح الذي تدور فوقه أحداث ذلك الحلم.

وجاء اليوم الذي شاءت فيه إرادة الله أن تكتحل عيناي بمشاهدة أرض فلسطين والسير فوق ترابها المقدس الطهور واستنشاق هوائها العليل والتقاء إخوة جمعتني وإياهم مسيرة الكفاح والنضال سنوات طوال.

كان من الصعب علي أن أصدق أنني سأجتاز معبر الكرامة وأنني بعد اجتيازه بساعة سأكون في رام الله، ولكنني لم أعتم أن وجدت نفسي بعد قليل في أريحا يطالعني في استراحتها وجه أحد الأخوة الأعزاء والذي جثم نفسه عناء استقبالي على الرغم من متاعبه الصحية.

وصلنا رام الله وتابعنا طريقنا إلى سنجل... كنت أعيش لحظة الدهشة والانبهار وأنا أنظر إلى قرى وطننا الحبيب التي تزين هامات الجبال وتعانق سفوحها الخضراء... وكان فيض من الألم والإحساس بالغيظ يعكر علي صفو سروري وأنا أشاهد تلك المستعمرات المتطفلة التي تشوه وجه الوطن الجميل.

ويشاء حسن الطالع أن يغدق علي مزيداً من لحظات الفرح فإذا بي أجد نفسي بعد ثلاثة أيام من وصولي مشاركاً لمجموعة خيّرة من شباب الوطن وصباياه ورجاله وأطفاله في رحلة داخل الوطن المحتل.

لم أكد أصدق أنني سأرى مدن فلسطين وقراها التي اغتصبها المحتلون عام 1948 ولكنني فعلاً ما برحت أن وجدت نفسي أتناول طعام الإفطار مع المجموعة الخيّرة في حديقة رامات جان. ثم مررنا بهرتسيليا حيث شاهدنا القارب الذي استخدمته الشهيدة دلال المغربي في عمليتها الشهيرة ونصبه العدو فوق هضبة على يمين الطريق الموصل إلى حيفا.

مررنا بالخضيرة في حيفا ثم حططنا رحالنا في عكّا... وتجولنا في أسواقها القديمة وصلينا في جامع الجزار وتداعت علي الأفكار... وهذا هو سجن عكا الذي تسابق فيه الشهداء الثلاثة إلى المشنقة... وهذه هي الأسوار القديمة التي تذكرنا بأسواق القدس وأسواق القاهرة الفاطمية... إلى غير ذلك من الأفكار.

وانطلقنا إلى قيساريا ثم إلى يافا حيث قضينا أربع ساعات... هذا هو جامع حسن بك وهذه يافا القديمة التي يرفض المحتلون أن تمسها يد التغيير والتطوير.

غادرت يافا بعد أن غادرت قلبي فيها ينتظر عودتي الظافرة إليها وإلى كل ذرة من تراب وطننا السليب.